نقاش مع ملحد

ومعه

رسالة أصول الدين والرد على الملحدين

لفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله



تأليف

أ. د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري



نقاش مع ملحد

ومعه رسالة أصول الدين

والرد على الملحدين

لفضيلة الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشثري، سعد ناصر عبدالعزيز

نقاش مع ملحد، ومعه رسالة أصول الدين والرد على الملحدين للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

سعد ناصر عبدالعزيز الشثري/ الرياض، ١٤٣٦هـ

١٧٨ ص ١٤×٢٠

ردمك: ٠-٨٢-٨١٥٥-٦٠٣-٩٧٨

١. الإسلام – دفع مطاعن ٢. الإلحاد والملحدون.

٣. أصول الفقه أ. العنوان

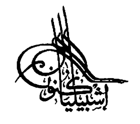
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٩٥١١

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٩٥١١هـ

ردمك: ٠-٨٢-٨١٥٥-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ ٢٠١٦م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦– ٤٩٦٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

E-mail eshbelia@hotmail.com

نقاش مع ملحد

ومعه

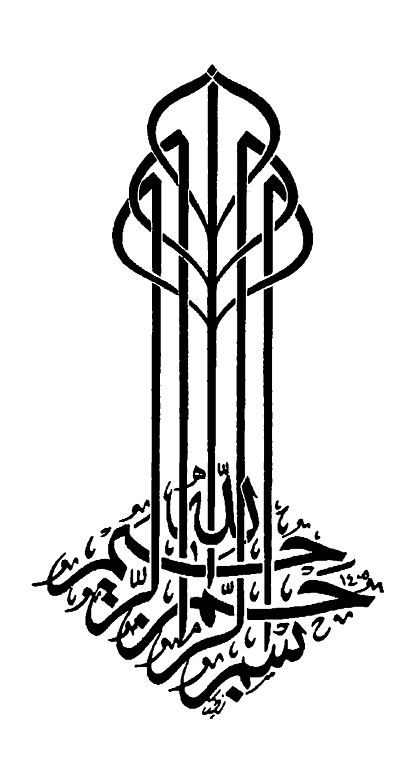
رسالة أصول الدين والرد على الملحدين

لفضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

تأليف

أ. د. سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده على نعمه، ونشكره على مننه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

فما من زمانٍ إلا ويكون فيه أهل زيغٍ، يزيغون عن الدين القويم، وينحرفون عن الصراط المستقيم، بشبهاتٍ شيطانيةٍ تلقيها الشياطين في القلوب. ومن فضل الله عز وجل أن هيَّأ من يقابل متَّبعي الشياطين بعلماءَ يُرشدون الناس إلى الحق ويردون الباطل.

ومن أعظم أنواع الباطل: مَوجات الإلحاد التي تكون في الأمة ما بين عصرٍ وآخر، وما من عصرٍ إلا وفيه مثل هذه الموجات. قد يتسمَّوْن باسم الإسلام، وهم لا يؤمنون بعقائده، وقد يجحدون رب العزة والجلال، ولكنهم نوادر وقلة، ولهم خصائص وسمات، من تلك السمات:

السِّمَة الأولى: أنه يغلب عليهم الاستهزاء والسخرية بأهل الحق، ومن المعلوم أن أصحاب الخلق الفاضل وأصحاب المعتقد الثابت لا يركنون إلى الاستهزاء والسخرية، وإنما يركنون إلى الدليل الواضح والحجة المقنعة والبرهان الجلي. وأما الاستهزاء فليس من شأن المؤمنين، ولذا قال النبي ﷺ: **(لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ)**(١).

وقد أخبر الله عز وجل عن أقوام الأنبياء أنهم كانوا بأنبيائهم يستهزئون، قال تعالى: **﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾**(٢).

والسِّمَة الثانية: الإعراض عن الكتاب والسنة، قد يظن الواحد منهم أن أدلة الكتاب والسنة أدلة نقلية مجردة، بينما الكتاب والسنة هي أعلى درجات الأدلة العقلية، بما يقتنع به

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة- باب ما جاء في اللعنة (١٩٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٠).

(٢) سورة الأنعام، الآية [١٠].

أصحاب الفطر المستقيمة، من المتجردين عن الأهواء والأغراض الدنيوية، ولو تفكروا في القرآن، وتأملوا في حججه وبراهينه لكان ذلك من أسباب هدايتهم، ولكنهم يعرضون عن الكتاب والسنة.

والسِّمَة الثالثة: أن أهل الباطل والإلحاد يدلِّسون على الناس، ويظهرون الحق بصورة تنفر منها النفوس، ويظهرون الباطل على أنه صورة حسنة بكلامٍ مزخرف، ولذلك قد يغتر بهم كثير من الناس؛ لِمَا يسمعونه من القول المنمق، كما قال تعالى: ﴿**شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا**﴾[1]. ﴿**زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ كلام منمق يَغُرُّون به الناس.

والأمر الآخر: أن أصحاب العقول منهم - أي من هؤلاء الملحدين - نادر أو قليل، إنما ينقل بعضهم من بعض، ويتكلم بعضهم بما يسمعه من أفرادهم، ولذلك قد يوجد في

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١١٢].

أصحاب هذا الصنف في عصرنا الحاضر مَن يُعيد كلمات منقولة ومكتوبة قبل أربعين وخمسين سنة في بعض البلدان الأخرى، ولا يُدخِل فيها المتغيرات العصرية، يجتَرُّ الكلام بدون أن يفكر في حقيقته ومدى انطباقه على وقائع الناس اليوم.

والناظر في مقالات هؤلاء الملحدة يجد أنها تماثل مقالات قد قيلت في عصور الأنبياء السابقين، وفي عصر نبينا وما بعده من عصور كثيرة. وليس لديهم شيء جديد، بل إنك تجد أنهم يرفعون أسماء الملاحدة الذين مَرَّوْا على الأمة في قرونها السابقة، مثل: الحلاج، وابن الفارض وابن عربي وديكارت وغيرهم.

ومن صفاتهم أيضًا: أن مريد الإحسان منهم بالناس قليل، بل نادر، تجد أن كثيرا منهم لا يهتم إلا بنفسه، ولا يسعى إلى الإحسان إلى غيره؛ وذلك لأن معتقداتهم الملحدة لا تحض على الإحسان إلى الخلق.

ومن خصائصهم: عدم وجود يقين عندهم، بل الذي عندهم شك وافتراض وحَيرة، وعندهم من التفرق والاختلاف الشيء الكثير؛ لأن الباطل أوجهه متعددة، بينما الحق وجه واحد وقول واحد، بخلاف أهل الحق؛ فإنهم يجتمعون على قولٍ واحدٍ؛ لأن لديهم أصولاً يحتكمون إليها، وهي: الكتاب والسنة.

والناظر في أصحاب هذه المقالات الشنيعة يجد أن لديهم مسائل ودلائل، مسائل يتكلمون بها ويقعدون فيها بقواعد باطلة، وعندهم أيضًا أنواع من الاستدلالات التي يظنون أنها أدلة، وهي ليست كذلك.

ولذلك إذا أردنا أن نرد على أصحاب هذه المقالات الزائغة فلا بد أن ننظر في أنواع الأدلة التي يستدلون بها، ونبين حقيقتها، وهل يصح التمسك بها أو لا؟ ثم نورد بعض المسائل التي يتكلمون فيها بالباطل، ونمثل على أوجه وجود الضلال في أقوالهم وعقائدهم[1].

---

(١) للمؤلف كتاب اسمه (الجدل والمناظرة).

ونبتدئ بمسألة مهمة، وهي ما يتعلق بالكلام في رب العزة والجلال، وإثبات الاعتقاد به، ربًّا خالقًا متصرفًا ومعبودًا.

* * * * *

أولاً: الإيمان بالرب سبحانه

هذه المسألة قد جاءت فيها نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، رغم أنه ليس هناك شك في الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[1]، ومما فطرت عليه القلوب: الاعتراف بالله عز وجل خالقا وربا ومتصرفا في الكون.

١) ذلك لأن هذا الكون العظيم الذي فيه مخلوقات متنوعة وحوادث متجددة، لا يمكن أن يُحْدِث نفسه ابتداءً؛ إذ من المعروف عقلا أن الشيء لا يحدث نفسه. وهكذا أيضا لا يصح أن نقول بأن هذه المخلوقات قد وجدت من غير خالق لها وموجد، فلم يبق إلا أن يكون لها خالق خلقها وهو الله جل وعلا، وشاهد هذا من كتاب الله عز وجل قوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ هذا التقسيم الأول، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[2].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [١٠].

(٢) سورة الطور، الآيتان [٣٥، ٣٦].

٢) ثم إن تفكرك في عظيم صنع الله لك يجعلك تؤمن بالله ربًّا وخالقًا، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]. كم من عِرق في جسدك؟ وكم من عظم في جسدك؟ وكم من لحم في جسدك؟ وكم وكم ...، هذا الترتيب البديع للبدن لا يمكن أن يكون أمرًا اعتباطيًا، بل لا بد أن يكون من خالق بديع سبحانه.

٣) ودليل آخر: ألا وهو التفكر في خلق الله، في هذا الكون العظيم، انظر إلى هذه الأرضين، وهذه السماوات، وهذه الجبال والمخلوقات، وما فيها من تدبير بديع، لا بد لها من موجد، ثم لا بد لها من مدبر يتصرف فيها.

لا يعقل أن يكون هذا التصرف البديع في الكون بدون متصرف فيه، هذا السحاب يُساق من آلاف الأكيال، فيمطر، فينبت الله به النبات، وهذه الشمس والقمر تجري بسياق غريب وعجيب. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٢١].

بِأَمْرِهِۦٓ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٢]، وقال جل وعلا: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٣].

٤) وهكذا من الأدلة الدالة على هذه المسألة العظيمة: ما صرَّف الله في البهائم والحيوانات من اهتدائها لمعايشها، وتصرفها بما يعود على نفسها بالحياة والبقاء. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٤]، أي: هداها للتصرف بما يعود عليها بالنفع.

٥) ومن الأدلة في هذا الباب: النعم الكثيرة التي أنعم الله بها جل وعلا على العباد، وأنت واحد منهم، كم من نعمة لله عليك؟ لا يمكن أن تكون قد أحدثتها بنفسك، وأبوك وأمك لم يقصدوا وجود هذه النعم فيك؛ سواء في بدنك، أو في

---

(١) سورة الروم، الآية [٢٥].

(٢) سورة فاطر، الآية [٤١].

(٣) سورة النمل، الآية [٨٨].

(٤) سورة طه، الآية [٥٠].

معايشك، في تقلبك في الحياة. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾(١).

٦) ومن الأدلة الدالة على هذه المسألة العظيمة: إجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء الداعين، ونشاهد هذا في أنفسنا وفي غيرنا، أمور مُدلهِمَّة مغلقة الأبواب ييسرها الله عز وجل بدعوات صادقات. قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾(٢). فإن رعاية الله لأحوال المضطرين وإجابة دعاء الداعين هذا نشاهده ونعرفه من أحوال الناس.

٧) ومن الأدلة الدالة على هذه المسألة: تلك الخوارق والآيات المعجزات التي تكون مع أنبياء الله عليهم السلام وأتباع الأنبياء، ونمثل لذلك بمثال عظيم، وهو نصر الله لأوليائه المؤمنين، قد يأتيهم في أول الأمر بعض الضيق، ولكنهم يصبرون، فتكون العاقبة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) سورة النحل، الآية [٥٣].

(٢) سورة النمل، الآية [٦٢].

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1]. يأتي أهل الباطل وعندهم قوات عظيمة وإمكانات كبيرة، يظن الظانّ أن الإسلام سيُقضى عليه، ثم بعد ذلك ينصر الله أولياءه المؤمنين.

وأضرب لذلك مثلَيْن في التاريخ عجيبين:

أولهما: فيما يتعلق بحياة النبي ﷺ ووفاته، في يوم الهجرة مائة رجل بأسلحتهم يطاردون النبي ﷺ، وحاصروا بيته، فخرج من بين أيديهم، وبحثوا عنه، وطلبوه، فنجاه الله منهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[2].

وهكذا في غزوة بدر، وفي غزوة أحد، وفي الخندق، حينما ظن المنافقون أن الإسلام قد قضي عليه، فنصر الله المسلمين بالريح، بدون أن يكون منهم قتال كثير.

---

(١) سورة الصافات، الآيات [١٧١-١٧٣].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٣٠].

وعند وفاة النبي ﷺ أصيب المسلمون بوفاته، وأصيبوا بانقطاع الوحي، وارتدت العرب، وتمالأ الروم على غزو ديار الإسلام، وتفرق الصحابة. فقد يقال بالموازين البشرية: انقضى دين الله، ولن تقوم لهذا الدين قائمة، جمع الله كلمة المسلمين، وبعد سنة واحدة من ذلك الموقف يرسلون الجيوش إلى الروم وفارس فاتحين، مَن الذي نصرهم؟ يقابل الجيش ثمانية أضعافه، فينصر الله عز وجل المؤمنين. هذه عبرة عظيمة.

والنوع الثاني: ما يتعلق بنصر الله علماءَ الدين، الذين وقفوا في وجه الكفر أو في وجه العقائد الفاسدة. فمثلاً: أحد خلفاء بني العباس يدعو الناس إلى عقائد فاسدة من نفي الصفات، فيقف الإمام أحمد في وجهه، ويكون عند الخليفة قدرات مالية وعسكرية وعنده الدولة بكمالها، وقام بمواقف شديدة بالنسبة لمن لم يستجب لما أراد نشره بين الناس من العقائد الفاسدة؛ فقتل بعضًا، وعذب بعضًا، وفصل من الوظيفة بعضًا آخرَ، فيقف الإمام أحمد مُظهرًا عقيدة الحق، فماذا كانت النتيجة: علت مكانة الإمام أحمد فأصبح ذكره

شائعاً في الأمة ، بل العلم ينقل عن ذلك الإمام، ويقال : إمام أهل السنة والجماعة.

وفي عصرنا الحاضر جاءت قوى استعمارية عظمى، أرادوا أن يمسخوا عقيدة الأمة، فقام لها علماء في كل قطر، فوقفوا في وجوههم، نشروا الحق والعلم، فنشر الله جل وعلا دعواتهم، وحمى الله بهم بلاد الإسلام، ويأتي احتلال بعض الدول - كالجزائر مثلًا- فيقوم فيه علماء بعدد أصابع اليد، مثل المشايخ: عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، ونحوهم من العلماء، فيقفون في وجه هذه المحاولات الخاسرة، فيستجيب لهم الخلق، ولا تنطلي على الناس هذه الدعوات الفاسدة المفسدة والعقائد السيئة. هذه معجزات عظيمة، ليس لديهم سلاح، وليس لديهم قوة، وليس لديهم قدرة على مجابهة دولة عظمى. وهكذا في بلاد الإسلام قاطبة، ومن ذلك: عاصمة دولة كبيرة تفتح بأربعين رجلًا، وتتكون منها هذه الدولة السعودية التي يكون لها تأثيرها.

٨) كذلك من الأدلة الدالة على هذه المسألة : هذا القرآن العظيم والكتاب الكريم الذي بين أيدينا نقرؤه، فيه من

البراهين والحجج، وفيه من الهدى والرحمة الشيء الكثير، لا تنقضي عجائبه، يدل على عظمة قائله، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

٩) **ويدلك على هذه المسألة العظيمة:** ما فطر الله قلوب العباد عليه، مع اختلاف مللهم وأجناسهم ولغاتهم وبلدانهم، إذا نزلت بهم المصيبة لجئوا إلى الله.

١٠) **هكذا؛ أيضًا من الأدلة الدالة على صحة الرسالات وإثبات وجود الخالق جل وعلا:** صدق الوعود التي وعد الله بها بعض العباد، فوعد المنفق بالخلف[٢]، ونجد هذا جليًا واضحًا في الناس، من أنفق لله رزقه الله وفتح عليه أبواب

---

(١) سورة النحل، الآية [٨٩].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة- باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧]، حديث رقم (١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب في المنفق والممسك (١٠١٠)، من حديث أبي الدرداء.

الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1].

وفي مقابل ذلك: أن الباغين والظالمين ينزل الله بهم من العقوبات التي يشاهدها الناس، ما يستدلون بها على عدل الله جل وعلا.

كذلك الصنع البديع لهذا الخلق يدل على إثبات وجود رب العزة والجلال.

١١) ومن أدلة وجود الله عز وجل وخلقه وتدبيره للكون: تغير القلوب في اللحظات اليسيرة، فلان يحب فلانًا من الناس، وفي لحظات ينقلب حتى يكون مبغضًا له، والعكس بالعكس، من الذي يتصرف في القلوب في لحظات؟ هذا يدل على أنه لا بد من متصرف يقلب هذه القلوب.

١٢) كذلك تعليم بني آدم، يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، فيُيَسِّر الله عز وجل لهم أنواع العلم والمعارف، فمن الذي أوجد لهم الاستعداد للتعلم.

---

(١) سورة سبأ، الآية [٣٩].

١٣) هكذا أيضًا من الأدلة على هذه المسألة العظيمة: تلك الطمأنينة والسكينة التي يجدها المؤمنون في قلوبهم، تحدث عندهم المصائب العظيمة، وهم صابرون موقنون بلزوم وقوع ما قضاه الله وقدَّره، لا يتسخطون، ولا يكون عندهم اعتراض على ما قدره الله عز وجل، بل قد تجد بعضَهم فرِح بما قدَّره الله عليه، ولو كان ذلك التقدير مكروهًا لنفسه. وشاهد هذا في ما يجده العقلاء من حلاوة عند الاتصال بالله عز وجل، يقومون في آخر الليل يصلون، يرجون ما عند الله، يقومون لصلاة الفجر في الليالي الشاتية والبرد الشديد، ويقومون لصلاة الفجر في الصيف، مع كون وقت الفجر يكون مبكّرا كثيرًا، فيجدون حلاوة لتلك الطاعات، لا يكون عندهم جزع ولا تسخط.

١٤) كذلك من أعظم الأدلة في هذا الباب: تصريف الأرزاق بين العباد، نجد القويَ البدن يعجز عن كسبه، وضعيف البدن يكتسب. ونجد الماهر صاحب عقليات التخطيط يعجز عن توفير اليسير، ويرزقُ ربُّ العزة والجلال البليدَ في فكره المالَ الوفير؛ لِيُثبت للعباد أن الأرزاق بيده جل وعلا، لا

بذهن ولا بدهاء ولا بقدرة ولا بغش ولا باحتيال، بل نجد من الحيوانات التي تعجز عن أنواع الرزق ما يقوم الله بتيسير الرزق لها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1].

١٥) كذلك؛ إذا نظر العبد في الأحوال المتضادة الموجودة في المخلوقات جعله يؤمن بقدرة رب العزة والجلال، تضحك وبعد ثانيتين تحزن، تفرح وبعد ثانيتين تسخط. من الذي قلب حالك في لحظات من رضا إلى غضب؟ إنه رب العزة، إذن لا بد من خالق يقدر مثل هذه الأمور.

١٦) **من الأدلة الدالة على هذه المسألة:** الأخبار الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، حيث اشتمل القرآن على العديد من الأخبار الماضية والمستقبلة، كلها صدق، مما يدل على أن المتكلم بهذا القرآن ليس بشرًا؛ لأن البشر إذا أخبر بأمور لا يعرفها يصيب في بعض ويخطئ في بعضها الآخر.

هكذا أيضًا إذا تأمل الإنسان في شرع الله ودينه وجد أن الأحكام الشرعية مبنية على العدل، لا ظلم فيها ولا جور.

---

(1) سورة هود، الآية [٦].

فمثل هذا كله يدل على كون الله عز وجل هو الخالق الرازق، هو المتصرف في الكون، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]. أكثر الأمم السابقة يؤمنون بالله ربا وخالقا، لكنهم لا يصرفون له العبادة وحده، فكان هذا دليلًا على أن إيمانهم بالله ناقص.

فالمقصود أن الأدلة العقلية الدالة على هذه المسألة العظيمة كثيرة متعددة، ولذا أخبر الله عز وجل عن أهل جهنم أنهم إذا ألقوا في جهنم قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: نتبع الأدلة النقلية ﴿أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

* * * * *

(1) سورة المائدة، الآية [٥٠].

(2) سورة الملك، الآيتان [١٠ - ١١].

ثانياً: صحة دين الإسلام

تحتاج إلى الكلام عن إثبات صحة هذا الدين، دين الإسلام، وأنه الدين الصحيح الـذي أوجب الله الخـالق العمل به.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1]، إذن الدين المقبول هو الإسلام، وما عداه من الأديان ليست مقبولة عند الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2]، أي: أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، والمراد بذلك الاستسلام لله والانقياد بالتوحيد بالباطن والظاهر.

والناظر في هذا الدين القويم يجد أن البراهين الدالة على صحته كثيرة متعددة.

منها أن أصل هذا الدين هو إفراد الله بالعبادة، وعدم عبادة أحد سواه بما يتوافق مع الفطرة السليمة والعقول

---

(1) سورة آل عمران، الآية [٨٥].

(2) سورة آل عمران، الآية [١٩].

المستقيمة، ومن دلائل صحته وصدقه: موافقته لجميع شرائع الأنبياء السابقين في أصل تلك الأديان المبنية على إفراد الله بالعبادة، ولذا قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

وعند التأمل في هذا نجده جليًا واضحًا: بناء هذا الدين على الإخلاص لله عز وجل.

ومنها: أن أحكام هذا الدين تجلب الخير والمصالح للعباد، وما توهم فيه المتوهمون أنها تجلب خلاف ذلك لا يلبثون قليلًا إلا وقد تبين لهم أن تلك الأحكام تجلب الخير، ولذا قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾[3].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].

(2) سورة النحل، الآية [٣٦].

(3) سورة الأنعام، الآية [١١٥].

ومن الأدلة على صحة هذا الدين وصدقه: أن النفوس تعتقد أن الخير والمصلحة في بعض المسائل في خلاف أو في مخالفة هذا الدين، فإذا تبين الأمر بعد ذلك وجدنا أن الخير والمصلحة في اتباع هذا الدين، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[٢] أي: لَلَحِقَتْكُمُ المشقة.

ومن الأدلة على صحة هذا الدين وصدقه: أن الله عز وجل ينصر أولياء هذا الدين المتقين لله، بدءا من النبي ﷺ فمن بعده، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

---

(1) سورة المؤمنون، الآية [٧١].

(2) سورة الحجرات، الآية [٧].

(3) سورة الأنفال، الآية [٢٦].

وكما ذكرت قبل قليل من الحوادث الكثيرة المتعلقة بقصص أولئك الذين تمسكوا بهذا الدين مع ضعف الإمكانات عندهم، ومع ذلك جعل الله العاقبة الحميدة لهم.

ومما يدل على صحة هذا الدين: عجز المعارضين عن الإتيان بمثله.

وهكذا أيضًا مما يدل على صحة هذا الدين: عدم التناقض في أخباره تناقضا حقيقيا، قد يكون هناك تناقض صوري، يظن بعض الناس أنه من التناقض، ولا يكون الأمر كذلك عند تمحيص الأمور.

ومما يدل على صحة هذا الدين: أنه عند مقابلة حججه الصحيحة بما يحتج به لتصحيح غيره؛ تزول تلك الحجج والشبهات، قال تعالى: **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾**[1].

ويدلّك على صحة هذا الدين: أنه مع شدة مكر الأعداء لأهله واجتماعهم على الباطل؛ من أجل طمس معالم هذا

---

(1) سورة الأنبياء، الآية [١٨].

الدين، إلا أن الله عز وجل يؤيد أصحاب هذا الدين وينصرهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[1].

ولعلنا أن نقرأ شيئاً مما يتعلق بهذا الموضوع:

قال علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في رسالته الموسومة بـ**«أصول الدين»**:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه... أما بعد:

فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[3]، وقال

---

(1) سورة غافر، الآية [٥١].

(2) سورة آل عمران، الآية [٨٥].

(3) سورة آل عمران، الآية [١٩].

تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]. وقد فسر الله الإسلام في مواضع من كتابه مثل قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] ففسره بإسلام الوجه الذي هو انقياد الباطن والظاهر لله، خالصًا وهو محسن في هذا الانقياد بأن يكون على الصراط المستقيم، الذي هو طريق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3]. ففسره بالاعتقادات والإيمان بالله، وما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وبالإيمان بكل رسول أرسله الله، وبكل كتاب أنزله الله على جميع الرسل، خصوصًا من سمى بهذه الآية الكريمة من صفوة الرسل أهل الشرائع الكبار،

---

(1) سورة آل عمران، الآية [٦٤].

(2) سورة البقرة، الآية [١١٢].

(3) سورة البقرة، الآية [١٣٦].

وبالخضوع والانقياد لله ظاهرًا وباطنًا، وبطاعته وطاعة رسله، وبيَّن تعالى أن هذا هو الهُدى، وأنه لا يحصل الاهتداء بغير هذا الطريق؛ لهذا قال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾[1]. فبين تعالى أنه لا يحصل الهدى والاهتداء بغير هذا الطريق كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[2]، وهو الذي هدى به عباده على ألسنة رسله، خصوصًا الهدى العظيم التام الذي جاء به خاتم الرسل وإمامهم محمد ﷺ من الحق علمًا وعملًا واعتقادًا وسلوكًا، وهو الصدق في أخباره النافعة، والعدل في أوامره ونواهيه، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[3].

وإذا أردت بيان ذلك والإشارة إليه على وجه التفصيل، فإن دين الإسلام أَمَرَ العباد أن يؤمنوا بالرب العظيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الخالق

---

(1) سورة البقرة، الآية [١٣٧].

(2) سورة آل عمران، الآية [٧٣].

(3) سورة الأنعام، الآية [١١٥].

البارئ المصور، الذي أحاط بكل شيء رحمة وعلمًا وقدرة ومشيئة، فإنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، ونفذت مشيئته في جميع الموجودات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقع كمال قدرته ومشيئته، فإنه حكيم في كل ما خلقه من المخلوقات، وحكيم في جميع التصرفات، وحكيم في كل ما شرعه من الشرائع، فما خلق شيئا عبثًا، بل نفس خلقه صادر عن حكمته، وما أوجده من المخلوقات، فإنه مشتمل على غاية الحكمة، وهو الحسن والإتقان والانتظام الذي تشهده الأبصار والبصائر، وتصريف الأمور كلها وتقليبها من حال إلى حال، كله على سعته موافق للحكمة والرحمة والمصلحة، وكذلك ما شرعه من الشرائع وحكم به من الأحكام الشرعية بين عباده جميعه أصوله وفروعه، وغاياته مشتمل على الحكمة التي لا غاية لها ولا منتهى لكمالها وحسنها.

قوله هنا: لا غاية لها أي: لا نهاية. وليس المراد بالغاية المقصد.

وكما أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وله الحكمة في خلقه وأمره وقضائه وشرعه، فإن ذلك كله مملوء

من رحمته التي من آثارها الخيرات والبركات وأنواع المنافع، والمصالح الدينية والدنيوية، الظاهرة والباطنة، وما فيها من النعم والخيرات ما لا يعبر عنه المعبرون، ولا يقدر أن يصفه الواصفون، بل هي نعم لا تعد ولا تحصى، ولا يحصي أحد ثناءً عليه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾(1)، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(2).

وهذا أمر قد اعترف به البر والفاجر، ولهذا أخبر الله عن المشركين أنهم يعترفون أن الله هو الخالق وحده، المالك وحده، المدبر وحده، المنعم وحده، وإنما يتخذون أوثانهم ومعبوداتهم يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى، وإلا فهم يعلمون عجزها وفقرها وغير ذلك من صفات النقص، فإذا علم أن الله تعالى هو الذي له الأسماء العظيمة الحسنى، والصفات الكاملة العليا، وأنه المتفرد بكل كمال وعظمة وجلال، وأنه الخالق الرازق المدبر، ومن سواه مخلوق فقير إليه مُدبَّر، وأن جميع

---

(1) سورة النحل، الآية [٥٣].

(2) سورة النحل، الآية [١٨].

النعم والفضل والخيرات والمنافع من الله وحده، وأنه الدافع لكل شر وسوء، فهو الذي يستحق أن يكون هو الإله المألوه وحده ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾[1].

معنى هذه الآية: أنه سبحانه معبود في السماء معبود في الأرض، وليس معناه كما يقول بعض الحلولية: بأنه في الأرض بنفسه. هذا كلام خاطئ. فإن كلمة: إله معناها معبود، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ﴾ أي معبود في السماء، ومعبود في الأرض.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ أي: هو إله أهل السماء وإله أهل الأرض، الذي يعظمه ويحبه ويدعوه أهل السماء والأرض دعاء عبادة ودعاء مسألة، وهذا هو الغاية والمقصود الأعظم من خلق جميع المكلفين؛ ليعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وليعبدوه وحده لا شريك له، فيخلصوا له الدين، يقومون بالإيمان والإسلام والإحسان على الوجه الذي ينبغي، على وجه الإخلاص والذل لله الواحد

---

(1) سورة الزخرف، الآية [٨٤].

القهار، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].

فأخبر أنه أوحى إلى جميع رسله أن يعترفوا بإلهيته وحده، وأن يقوموا بعبوديته ظاهرًا وباطنًا، وهذه العبودية التي أمر الله بها عباده هي طاعته وطاعة رسوله ﷺ بتصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله وأمر رسوله، واجتناب نهي الله ورسوله، وذلك هو القيام بحقه تعالى على عباده، وبالقيام بحقوق العباد بحسب حالهم ومراتبهم.

فالأب له حق، مرتبته عالية، والأخ له حق، ومرتبته أقل من مرتبة الأب، وهكذا.

وذلك كله مبناه على العدل، فإن أصل العدل وأساسه عبادة الله وحده لا شريك له، فإن توحيده أوجبُ الواجبات، وأفرضُ الفرائض شرعا وعقلا، والإخلال بالإخلاص أظلم

---

(1) سورة الأنبياء، الآية [٢٥].

الظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]. وأيُّ ظلمٍ أعظمُ من ظلم من تفرد الله بخلقه وتدبيره فعبد سواه، وتفرَّد بالإحسان إليه وإيصال الفضل إليه بكل سبيل، فصرف شكره لغيره، وإذا كان الشرك أظلم الظلم، فما الظن بما هو أفظع من الشرك، وهو الإنكار والإلحاد والاستكبار عن عبادته أو عن الاعتراف به، فكل من لم يؤمن بالله ولم يخلص أعماله لله فهو ظالم، على تفاوت في عظمة الظلم وشناعته، وكذلك حكمه وأحكامه بين عباده في المعاملات والحقوق الخاصة والعامة على كثرتها وتبحرها، كل ذلك مبنيٌّ على العدل الذي تعترف بحسنه وكماله العقول السليمة والفطر المستقيمة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

وقد ذكر الله أصول العدل والإحسان في أصول الدين وفروعه قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا

(1) سورة لقمان، الآية [١٣].

(2) سورة المائدة، الآية [٥٠].

تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[2].

فتأمل هذه الأوامر الجليلة الجميلة، وما فيها من الخيرات، وما تضمنته من أداء الحقوق التي هي أفرض الحقوق شرعًا وعقلًا، وما نهت عنه من أصناف المحرمات المحتوية على الظلم والشر والضرر والفساد. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

فقد جمعت هذه الآية الكريمة الأمرَ بكل عدلٍ وإحسانٍ وخيرٍ، وحثت على أداء الحقوق العامة والخاصة، ونهت عن كل منكر وفحشاء في حق الله، وبغي على عباد الله بدمائهم

---

(1) سورة الأنعام، الآية [١٥١].

(2) سورة الإسراء، الآيتان [٢٣، ٣٩].

(3) سورة النحل، الآية [٩٠].

وأموالهم وأعراضهم، وقد جمع الله أيضًا أصول العدل في قوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

كما جمع أصول الشر والظلم في الآية الأخرى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. وهذه المحرمات في كل شريعة، وكل زمان ومكان؛ لأن الشر والضرر والفساد ملازم لها حيث ما كانت.

وقال تعالى في بيان أصول البر والتقوى التي هي روح العدل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

---

(1) سورة الأعراف، الآية [٢٩].

(2) سورة الأعراف، الآية [٣٣].

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

فهذه الآيات الكريمة اشتملت على أصول الشريعة وبيان صدقها وعظمتها وكمالها، ومراعاتها للعدل والقسط والمصالح في كل زمان ومكان، وفي كل حالة من الأحوال، وتفاصيل الشريعة كلها تفصيل لما نصت عليه هذه الآيات، وذلك أكبر برهان على أنها ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]، عالم بمصالح عباده، رحيم بهم حيث حثهم على ما ينفعهم، وحذرهم عما يضرهم، وأرشدهم إلى كل خير وهدى، ونهاهم عن كل شر وسوء ورَدَى، وهي كلها حق مصدَّق يعترف أولو الألباب بها، وتخضع العقول الصحيحة لها، ويُعلم أن كل ما ناقضها وخالفها فإنه شر وغيٌّ وضلال، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾[3]، ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

---

(1) سورة البقرة، الآية [١٧٧].

(2) سورة فصلت، الآية [٤٢].

(3) سورة يونس، الآية [٣٢].

هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[١].

فأخبر أن الذين أوتوا العلم الحقيقي هم الذين يرون ويعترفون أن الذي أُنزل على محمد ﷺ هو الحق في ذاته وأوصافه، وأنه يهدي إلى الصراط المستقيم الموصِل إلى الله العزيز الحميد. يعني: ويرون أن ما خالفه وناقضه هو الباطل في ذاته وأوصافه، وما يوصِل إليه من غي وضلال وجهل وشر، فهو تعالى الحق، ودينه حق، ووعده حق، وقوله حق، وما خالف ذلك باطل.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[٢]. ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[٣]. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[٤]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[٥]،

---

(1) سورة سبأ، الآية [٦].

(2) سورة الحج، الآية [٦٢].

(3) سورة الروم، الآية [٦٠].

(4) سورة الأحزاب، الآية [٤].

(5) سورة النساء، الآية [١٢٢].

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[1]. والحق هو الصلاح وبه الصلاح المطلق، وضده هو الفساد. وقال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾[2].

فأخبر أن الحق لو كان تابعًا لأهواء كل مخالف للرسول، لحصل منه الفساد العام والضرر العظيم، فكل شريعة وقانون وسياسة للمخلوق تنافي ما جاء به الرسول، فإن شرها مستطير، وضررها كبير، والتجربة والمشاهدة أكبر شاهد على ذلك، وحيث كان الحق وصف الدين اللازم الملازم قاوم كل ما عارضه من جيوش الباطل المتكاثرة الجبارة، فصمد لها وقاومها وأبطلها ومحقها، وهو لا يزال - ولله الحمد - في كل وقت مستعد لمقاومة المعتدين ومنازلة الظالمين، وتحدي كل معتد كفار أثيم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[3]، ﴿وَقُلۡ جَآءَ

---

(1) سورة النساء، الآية [٨٧].

(2) سورة المؤمنون، الآية [٧١].

(3) سورة الصف، الآية [٩].

ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1].

هذه أيضًا حجَّة عظيمة وبرهان قويم، أن مكر الأعداء من الزمان الأول، وما من زمان إلا وهذا الدين وأهل هذا الدين يتعرضون لصنوف من المكر، فنجد أنهم يحاولون طمس معالم هذا الدين وإلغاءه بالكلية، ومع ذلك يُبقي الله عز وجل هذا الدين، بل ينشر هذا الدين في أعدائه الذين حاولوا القضاء عليه.

* * * * *

---

(1) سورة الإسراء، الآية [٨١].

ثالثاً: الإيمان برسول الله ﷺ

تحدثنا سابقاً عن مُجادَلة المُلحِدين فيما يتعلق بالمعتقَد بالله عز وجل، والاعتراف برُبُوبِيَّتِه، وابتدأنا بالكلام عن أدلةِ صِحَّةِ هذا الدِّين، ولعلَّنا بإذن الله عز وجل نتكلَّم عن الأدلة الواردة بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ:

فالأدلة الدالَّة على إثبات الرسالة لنبينا محمد ﷺ كثيرة متعددة، وبين يدي إيرادِ هذه الأدلة نذكر تلك المُجادَلةَ التي كانت بين هِرَقْل وبين أبي سفيان، قبل أن يُسْلِمَ أبو سفيان؛ فقد روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس: أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هِرَقْل استدعاه، واستدعى جماعة معه من قريش كانوا قد قدموا إلى الشام من أجل التجارة بعد صُلْح الحديبية، وكانت الهُدْنة بين النبي ﷺ وأهل مكة لا زالت قائمة بينهم، فجاء أبوسفيان ومن معه إلى هِرَقْل في مجلسه، ووجدوا حوله عظماء الروم، فقَرَّبَهُم إليه، ودعا بالتُرجمان بينه وبينهم.

فقال هِرَقْلُ: مَن أقربُكم نَسَبًا لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

قال أبو سفيان: أنا أقربهم نَسَبًا. فقال: قَرِّبوه مِنِّي، واجعلوا أصحابه عند ظَهْرِه، وقال للترجمان: أَخْبِر أصحابَه؛ إن كَذَبَ هذا الرجل فكذِّبوه. وأبو سفيان لم يكن يخاف من أصحابه أن يُكذِّبوه، ولكن خَشِيَ إذا كَذَبَ عند هِرَقْل أن يَنسِبَه أصحابُه إلى الكذب بعد ذلك، وإلا فهو آمِنٌ من أن يُكَذِّبوه في ذلك المجلس، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يَأْثِروا عليَّ كذبًا لكذبتُ عليه.

قال: فسألني هِرَقْل: كيف نَسَبُ هذا الرجل الذي يدَّعي النبوة فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو ذو نَسَب.

فقال هِرَقْل: هذه المقالة - ادِّعاء النبوة- هل قالها أحد قبله في العرب؟ فقال أبو سفيان: لا.

فقال هِرَقْل: هل مِن آباء هذا الرجل مَن كان ملكًا -تُجبَى إليه الأموال-؟ فقال أبو سفيان: لا.

فقال هِرَقْل: من الذي يتبعه أشرافُ الناسِ أو ضعفاؤهم؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

فقال هِرَقْل: هل يزيدون أو ينقصون؟، فقال أبو سفيان: بل يزيدون.

قال: فهل يترك أحدٌ منهم هذا الدين سخْطَةً له بعد أن يَدخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا، لا يرتدُّ منهم أحد.

قال هِرَقْل: فهل كنتم تتَّهمون هذا الرجل بالكذب قبل أن يقول هذه المقالة؟ فقال أبو سفيان: لا لم نكن نتَّهمُه بالكذب.

فقال هِرَقْل: هل يَغْدِر؟ فقال أبو سفيان: لا يغدر، ولكننا الآن في هُدْنة – يقصد صُلْحَ الحديبية – ولكن نحن منه الآن في مُدَّة لا ندري ما هو فاعلٌ فيها – أتى بهذه المعلومة على جهة السؤال – قال: ولم يمكنني أن أُدخل كلمة تَقْدَح فيه بأدنى نوع من أنواع القدح إلا بهذه الكلمة، ما أدري ماذا سيفعل هل يَغْدِر بعد ذلك أو لا؟.

فقال هِرَقْل: هل قاتلتموه؟ فقال أبو سفيان: نعم قاتلناه.

قال: فكيف كان قتالكم إيَّاه؟ قال أبو سفيان: الحرب بيننا وبينهم سِجَالٌ يَنال منَّا ونَنَال منه. وفي رواية: يُدَالُ له ويُدَالُ عليه.

قال: فبماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصَّدَقَة والعفاف والصِّلَة والصِّدْق.

ثم بعد ذلك تكلَّم هِرَقْل – عظيم الروم – فقال لترجمانه: أَخْبِرْه؛ سألتك عن نَسَبِه فذكرتَ أنه فيكم ذو نَسَب، وكذلك الرسل تُبْعَثُ في نَسَبٍ مِنْ قَوْمِهَا.

وسألتُك: هل قال أحدٌ منكم هذا القول؟ فذكرتَ أنه لم يقل بذلك أحد. وقلت: لو كان هناك بعضهم قد قال بمثل هذه المقالة قبل أن يقولها فيمكن أن يكون قد تأسَّى بقولٍ قد قيلَ قبلَهُ.

وسألتُك: هل كان في آبائه من ملِك؟ فذكرتَ أنه لا يوجد لهم مُلْك، فقال هِرَقْل: لو كان من آبائه مَلِك لَقُلْتُ: رجل يطلب مُلْك آبائه.

وسألتُك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل هذه المقالة؟ فذكرتَ أنكم لا تتهمونه، فعرفتُ أنه لم يكن ليَذَر الكذبَ على الناس ويكذب على الله.

وسألتُك: من الذي يتَّبعُه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ فذكرتَ أن الضعفاء هم أتباع هذا النبيِّ، وهكذا الضعفاء هم أتباع الرسل.

وسألتُك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يَتِمَّ.

وسألتك: هل يرتدُّ أحدٌ منهم ساخطًا لذلك الدين بعد أن يدخل فيه؟ فذكرتَ أنه لا يرتدُّ أحدٌ منهم، قال هِرَقْل: فهكذا بَشَاشَةُ الإيمان حين تُخالِط القلوبَ، وفي رواية؛ هكذا الإيمان حين يُخالِط بَشَاشَةَ القلوب.

وسألتُك: هل يَغْدِر؟ فذكرتَ أنه لا يَغْدِر، وكذلك الرسل لا تَغْدِر.

وسألتُك: بِمَ يأمركم؟ فذكرتَ أنه يأمر بعبادة الله وحده، وعدمِ الشرك ويَنهى عن الأوثان، ويأمر بالصلاة والصدقة والصِّدْق والعفاف.

قال هِرَقْل: فإن كان ما تقول حقًّا فسيَمْلك موضع قدميَّ هاتيْن، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه من العرب، فلو كنتُ أعلم أنني أتمكّن من الخُلوصِ إليه لأتعبتُ نفسي من أجلِ لقائه، ولو كنتُ عندَهُ لغسَّلت قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بَعَثه إلى هِرَقْل فإذا فيه: (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأريسيين، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[1])[2].

---

(1) سورة آل عمران، الآية [٦٤].

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي- باب بدء الوحي (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد- باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل (١٧٧٣).

قال أبو سفيان: فكَثُر بعد ذلك الصَّخَبُ وارتفعت الأصوات، وأُخرجنا، فقال أبو سفيان لأصحابه: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشَة، - يعني: ارتفع أَمْرُ وشأن النبي ﷺ حتى إن مَلِك بني الأَصْفَر ليَخَافُه على مُلكه، قال أبو سفيان: فمازِلْتُ مُوقِنًا أنه سيظهر هذا الدين حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

ففي هذا الخبر العديد من الصفات التي استدلَّ بها هِرَقْل على صِدْق النبي ﷺ:

أول هذه الأمور: أن طريقة هذا النبي وسِيرَته هي سيرة الأنبياء وطريقة الأنبياء عليهم السلام، وليست طريقة الملوك ولا طريقة راغِبي الدنيا، فيُستدَلُّ بهذا - يُستدَلُّ بموافقة هديُه هديَ الأنبياء قبله - على صِدْقِه، وأنه رسول من عند الله حقًّا؛ لأن الأنبياء لهم صفات؛ مَن خالفت صفتُه صِفةَ الأنبياء فليس من الأنبياء.

الأمر الثاني: أن ما يدعو إليه من أعظم الأمور؛ أعظم الأخلاق، وأعظم العبادات شأنًا، وهذا دليل على صِدْقِ هذا النبي ﷺ.

والأمر الثالث: ما يتعلق بالقبول لهذا النبي؛ من جِهَة أن أتباعه والمؤمنين به يزيدون ولا ينقصون، وأنهم لا يرتدُّون عن هذا الدين ولا يسخطونه.

٤) بل يُؤخذ من هذا أمر آخر وهو وجود التضحيات من أتباع هذا النبي، في أول الأمر لم يكن عندهم شيء من الدنيا، بل كانوا مُضطَهدين، يتعرضون لصنوف الأذى، ومع ذلك بَقَوْا على هذا الدين، ضُرِبوا وشُتِّتُوا بل قُتِلَ بعضُهم، وأُحرق بعضهم، وعُرِّضَ بعضُهم إلى الرَّمْضَاء الشديدة حتى سَالَ شَحْمُ بَدَنِه... إلى غير ذلك مما وردت به الأخبار، ومع ذلك كانوا متمسِّكين بهذا الدين، لا يتزلزلون عنه شعرة، فإن قال قائل بأنه في المدينة وُجِدَ منافقون؛ ولو كان هذا الدين حقًّا لما تركوا الدين من أجل النفاق؛ فنقول: هؤلاء لم يدخل الدين في قلوبهم ويتمكن منها، وهكذا وجود أفراد من الملحدين في هذه الأمة في عصرنا الحاضر فإن هؤلاء لم يتمكن هذا الدين من قلوبهم، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، ومن هنا لا يصح الاعتراض بمثل هذا.

٥) كذلك فيه الاستدلال بأنواع ما يأمر به هذا النبي ؛ هل عنده خُزَعْبَلات؟ هل في هذا الدين أخلاق سيئة يأمر بها أو أنه يأمر بالأخلاق الحسنة ومعالي الأمور؟ الناظر في هذا الدين وفي أحكامه يجد أنها تُحقِّق مصالح الخلق، وأنها تَجْلِب الخير للناس، وأن هذه الأحكام هي التي تُسْعِد الخلق، وتُبعِد عنهم النزاع والشِّقاق، والناظر في هذا الدين يجد أنه يُهذِّب نفوسَ أتباعه الموقنين به، إلى غير ذلك مما جاءت به هذه الشريعة المباركة.

٦) ومن الأدلة في هذا الباب: نُصْرةُ الله عز وجل لهذا النبي ؛ فالله عز وجل رحيم بالعباد، ومن مُقتضى رحمته ألا يوجد مَن يَكْذِب عليه، ومع ذلك يُؤيِّده ويَنصُره، ولا يَكشِف حالَه للناس، فإن رحمة الله عز وجل بالعبد تقتضي أن مَن كَذَبَ عليه وغَشَّ الناسَ أن يُبيِّن حقيقته ويُوضِّح عَوَارَ أَمْرِه، ولا يُمَكِّنه ولا ينصره. وهكذا أيضًا فيما يتعلق بنُصرة هذا النبي ﷺ، فلا يُعْقَل كما تقدَّم أن يَكذب على الله ويدَّعِي أن الله قد أرسله، ثم بعد ذلك لا يُعاقبه الله ولا يَسخط عليه،

وتستمر دعوته مئات السنين وآلاف السنين، وينتشر دينه في الآفاق، فهذه الخصائص لهذا الدين تدلّ على صِدْقِ هذا النبي ﷺ.

٧) والناظر في هذا الدين وتأثيره على النفوس وتأثيره في التاريخ يَستدِلّ بذلك على صحة هذه الرسالة وصِدْقِ هذا النبي، العرب قبل النبوة عندهم من الأخلاق ما يَتعجَّب المرءُ العاقل من وجوده عندهم، مع ما لديهم من نَخْوَةٍ عربية وما لديهم من عقول قوية، ومع ذلك كان السَّلب والنَّهب شأنًا لهم، وكان التفرُّق والتمزُّق طريقة يسيرون عليها في حياتهم، وكان ظلم الناس بعضهم لبعض يُعَدُّ شجاعة وبأسًا، وكان سَفْك الدم مما يعتبرونه شجاعةً، وكان وَأْدُ البنات يعتبرونه حَمِيَّة وأَنَفَة، ثم جاءهم هذا الدين فغَيَّر أخلاقهم، فأصبحوا يعطفون على الفقير، ويبذلون له من أموالهم، وينصرونه ويقومون معه، ويقومون في حاجته، بَدَلَ أَنْ كانت المرأة تُورَث أصبحت تُعطَى الإِرْث، مَن الذي غَيَّر هذه النفوس مع ما لديها من قَسوة وجَفْوة ونُفْرَة مما يخالف معهودها وطريقتها؟

هذا التأثير العظيم على النفوس يدل على صِدْق هذا النبي ﷺ.

٨) **وانظر إلى استدلال خديجة رضي الله عنها**، هو استدلال أيضًا يدل على صِدْقِ هذا النبي ﷺ؛ فإنه لما أتاه الوحي أول ما أتاه خَشِيَ على نفسه، فذهب إلى زوجته خديجة، وأخبرها الخبر، فقالت خديجة استدلالًا بالسنن الكونية: كلا لا والله، لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتَصِل الرحم، وتحمل الكَلَّ – أي تُمَكِّن الضعيف من أن يَركب على الدواب –، وتُكْسِب المعدوم – الفقير تمكِّنه من الكَسْب –، وتَقْرِي الضيف – أي تُقدِّم الضيافة للأضياف – وتُعِينُ على نَوَائِب الحق[1]، ومن كانت هذه صفته فإن الله عز وجل سيتولَّى شأنه ولن يُخزِيَه.

فهذا استدلال بحال هذا النبي ﷺ وطريقته وأخلاقه، فأخلاقه ليست بأخلاق الكذَّابين.

---

(1) أخرجه البخاري (٣) كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

٩) وهكذا سَمْتُ النبي ﷺ وهَدْيُه ؛ لم يكن من أهل التكبُّر، بل كان من أهل التواضع[١] ، لم يكن يحتفظ بالمال لنفسه، بل ما جاءه من المال تصدَّق به وأنفقه في سُبُله، حتى إنه لينفق نفقة من لا يَخشى الفقر ﷺ[٢] ، فهذا ليس شأن الكذَّابين، الكذَّاب إذا جاءه المال أَمْسَكه وبَخِل به.

١٠) كذلك فيما يتعلق بعبادته ﷺ ؛ فقد كان النبي ﷺ يحافظ على أنواع العبادة، فكان يُكثر من الصوم، فيصوم حتى يقال: لَا يُفْطِرُ[٣] ، كانت تأتيهم الأيام شديدة الحر لا يوجد منهم صائم إلا النبي ﷺ وعبدالله بن رواحة، كما ورد في الخبر[٤] ، فلو كان كذابًا فهل سيصوم في هذه المواطِن

---

(1) قال أنس: (إن كانت الجارية لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)، أخرجه البخاري (٦٠٧٢)، وسئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان يصنع النبي ﷺ في بيته، فقالت: (في خدمة أهله)، أخرجه البخاري (٦٧٦).

(2) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(3) أخرجه البخاري في كتاب الصوم- باب صوم شعبان (١٩٦٩)، ومسلم في كتاب الصيام- باب صيام النبي ﷺ (٧٨٢).

(4) أخرجه البخاري (١٨٤٣)، ومسلم (١١٢٢).

الحارَّة والأيام التي يطول نهارها. وهكذا أيضًا فيما يتعلق بالصلاة، فقد كان محافظًا على صلاة الجماعة، ومحافظًا على قيام الليل؛ كان يقوم الليل حتى تَرِمَ قدماه، فيقال له: إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فيقول ﷺ: **(أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)**[1]، فمِثل هذا يدل على صِدْقِ هذا النبي ﷺ، لو كان كاذبًا لما أتعب نفسَه بمقالة وبعبادات يعلم أنها كَذِب.

١١) وهكذا أيضًا مما يدل على صِدْقِ هذا النبي الكريم ﷺ: المعجزات العظيمة التي أَظْهرها الله عز وجل على يديه مما شَاهَدَها قومه وأهل زمانه، ومن أعظم تلك المعجزات:

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب قيام النبي ﷺ الليل (١١٣٠)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢٨١٩)، وبلفظ: **(أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا)** أخرجه البخاري في كتاب التفسير- باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٤٨٣٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢٨٢٠).

تعاليم هذه الشريعة التي ما مِن خَيْر إلا وقد أمرتْ به، وما من شر إلا وحذَّرت عنه. ومن معجزاته: هذا القرآن العظيم الذي لم يوجد في التاريخ كتاب يُماثِل هذا الكتاب؛ لا من جهة المعاني التي فيه، ولا من جهة اهتمام الخلق به، ولا من جهة إمكانية تطبيقه على جميع الأزمنة والأمكنة، إلى غير ذلك من مزايا هذا الكتاب العظيم، هذه معجزة عظيمة تدل على صِدْقِ هذا النبي ﷺ.

١٢) وأما المعجزات الحِسِّيَّة التي قد ذُكِرت عن النبي ﷺ كثيرة، من مثل انشقاق القمر[1]، وقد أَلَّفَ جماعة في المعجزات الدالَّة على صِدْقِ النبي ﷺ، ومن ذلك: إطْلاع الله عز وجل له على كثير من الوقائع السابقة واللاحقة والمقارِنة، ومن ذلك ما أخبر به ﷺ من أخبار الغَيْبِ التي وَقَعَتْ على وَفْقِ ما أخبر به ﷺ، ولا زِلْنا نجد ذلك في عصورنا هذه.

---

(١) سورة القمر، الآية [١]، وأخرجه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (٢٨٠٠).

الأدلة على صِدْقِ هذا النبي كثيرة، وما ذكرته لكم نماذج منها، ولعلنا نقرأ شيئًا من كلام المؤلِّف:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فانظر إلى حالة النبي ﷺ وما عَانَى من مقاومات المُبطِلين، وكيف أيَّده الله بالحق على جميع طوائف الظالمين، مع حَنَقهم وتَكَالُبِهم وتَنَاصُرِهم على باطلهم حتى خَرَج منتصرًا بالحق الذي أيَّده الله.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٢٦].

(٢) سورة التوبة، الآية [٤٠].

ثم تأمَّل ما قام به الخلفاء الراشدون ومَن معهم من الصحابة الأخيار، ومَن بَعدهم من الملوك العادلين، وكيف فتحوا القلوب بالعلم والإيمان، وفتحوا الأمصار، والحق معهم مُلازِم لهم، والنصر من الله مُؤيِّدهم، ولم يزل الدين الإسلامي قد خَضَعَ له أهل المشارق والمغارب، وقد تقبَّلوه وقَبِلوه بما فيه من العدل والرحمة والخير الذي لا يوجد في غيره، فلما تحلَّلوا بعد ذلك عن هذا الدين الحقِّ شيئًا فشيئًا تقلَّص عِزُّهم، وسُلِّطت عليهم الأعداء من كل مكان، وهو مع كثرة الأعداء وشِدة حَنَقِهم واتفاقهم على مَحْقِه وإبطاله، ومع قِلَّة أهله الحقيقيين ووقوع التخاذُل بين المنتسبين إليه؛ مع ذلك لم يزل - ولله الحمد- قائم الأصول، محفوظًا بحفظ الله، مقاوِمًا كل جيش يغزوه من أصناف الكفر المحاربين المعلِنين محاربته، ومن الزنادقة المنافقين الملحدين الذين يُظهرون إلحادَهم، والذين يُخفونه ويعملون في الباطن على القضاء عليه، ولكنهم في كل وقت مخذولون يُبدون المقاومات المتنوعة فيَظهر للخلق باطلُهم وإلحادُهم ومكرُهم، ولا يَرُوجُ باطلُهم إلا على من لا بصيرة له ولا حَقَّ معه، ولما عَلِموا بذلك وعرفوا أنه ليس في إمكانهم

مقاومة الحق سَعَوْا في إضعاف الحق من قلوب من يَنتسب إليه، ففتحوا المدارس التي تحت سيطرتهم، وطردوا عنها علوم الدين أو جعلوه اسمًا على مسمى ليتمكنوا من بَذْر باطلهم في قلوب المتعلِّمين فيها، الذين ليس عندهم عِلْم بالحق يُقاوِم مكرَ هؤلاء وخداعهم، وكان هذا من أكبر النكبات التي أُصيب بها المسلمون، ومن أكبر السلاح لأعداء الإسلام، حتى صار الخِرِّيج منها قد تسلَّح بسلاح أعداء الإسلام، وصار أكبرَ عَوْنٍ على من يَنتسب إليهم دينًا وقومية ووطنًا، ففضَّل دين الأجانب الأعداء وقَوْمِيَّتَهم ووَطَنِيَّتَهم على دينه وقومه ووطنه، فزال دينُه وفسدت أخلاقُه وذهبت مروءته وإنسانيته، فيتعيَّن على كل أحد السعيُ في إصلاح التعليم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتعاليم الدينية ومراعاة الأخلاق، والمحافظة على المتعلِّمين وملاحظتهم، فإنَّ إصلاح التعليم هو السبب الوحيد لحِفْظ الدين، ومقاومة كل شرٍّ وفساد، وسبب لصلاح الأمور كلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

---

(١) سورة التحريم، الآية [٦].

وذلك بالتعليم والإلزام بالحق علمًا وعملًا، فمَن أَهْمَلَ أولادَه ومَن يقوم عليهم مما هو مسترعَى عليه فقد عَصَى أمر الله وأمر رسوله، وعرَّضهم للعقوبات، فكيف إذا أَهْمَلَهم عن التعاليم النافعة، والآداب الصالحة، وأشغلهم بضدِّها من التعاليم الضارة؟ فما أعظم خسارة مَن خَسِرَ أولاده، بل ما أعظم حَسْرَة من كان أولاده الذين كانوا يَرجُو نفعهم بإهماله إيَّاهم، وتوجيههم للعلوم الضارَّة، قد صاروا أعظم نَكْبَة عليه وخَسِرَ دينه ودنياه.

وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: **(كل مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)**[1]؛ وذلك بالتعاليم المنحرفة، وهذه المدارس الإلحادية تُخَرِّج الناشئين فيها من الأديان كلها؛ لأن هذا هو الغرض المقصود بها؛ ولأنها تُلقِي في أذهانهم قاعدة من أخبث أو أخبث أصول

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى: «كل مولود يولد على الفطرة» وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

الإلحاد، وهي أن العلم الحقيقي عندهم ما يُدرَك بالحواسِّ فقط، وما لم يدرك بالحواس فليس عندهم بعِلْم، ولا يُعَدُّ من الحقائق الصحيحة، وهذه القاعدة الخبيثة خالفوا فيها جميع الأديان الصحيحة، بل خالفوا فيها جميع العقلاء، فإن مَدَارِكَ العلم كثيرةٌ متنوعة، مُدْرَكاتُ الحِسِّ، أو مُدْرَكاتُ العقل، ومُدْرَكَاتُ الأخبار الصحيحة، والنوعان الأخيران مُدْرَكاتُهما أعظمُ وأكملُ وأوسع، فإذا نُفِيَتْ لم يَبْقَ إلا المُدْرَكاتُ التي تُدْرَك بالحِسِّ، وهي دائرةٌ ضيِّقة تُوقِع أهلها في المهالك، فأعظمُ آثارِها وأَبْطَلُها إنكارُ علوم الغَيْبِ كُلِّها، وهو إنكارُ جميع ما أخبرتْ به الرسل، والكتب المُنْزَلة من السماء من توحيد الله، وتفرُّده بصفات الكمال، وتوحُّده بالخلق والتدبير، وإنكار البعث والجزاء في الدار الآخرة، وإنكار الملائكة والجِنِّ، وجميع ما أخبر الله به وأخبرتْ به الرسل من أنباء الغيب الواسعة المنتشرة التي قامت البراهين المتنوعة على حقِّها وصِدْقِها وعدم الرَّيْب فيها، فأَنْكَرَها هؤلاء الملحدون كما أنكرها أسلافُهم الدَّهْرِيُّون الذين قالوا: **﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا**

حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(١).

وقد عُلِم أن آيات التوحيد، وآيات البعث، وآياتِ صِدْقِ الرسل والبراهين الدالّة على ذلك التي لا يمكن إحصاؤها كلها تُبْطِل قولَ هؤلاء الملحدين، وتُخبر أنهم كما خَرَجُوا من الدِّين خَرَجُوا من العقل الصحيح، وخالفوا فِطْرَة الله التي فَطَر الله عبادَه عليها، فجميع ما أخبر الله به في كتبه وعلى ألسنة رسله من أمور الغيب التي هي أعلى أنواع الصِّدْق أنْكَرَها هؤلاء الملاحدة.

ومن المعلوم عند العقلاء المعتبرين أن من لم يُؤمِن بذلك الحق المبين الذي قامت الأدلة والبراهين بصِدْقِه وحقيقتِه ويَقِينِه لم يكن عنده عِلْم وحق يُؤمِن به ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢).

---

(١) سورة الجاثية، الآية [٢٤].

(٢) سورة الجاثية، الآيات [٦-٨].

وقد تحدَّتِ الرسل عليهم الصلاة والسلام جميع مَن كذَّبهم أن يعارضوا ما جاءوا به من الآيات البيِّنات والمعجزات الباهِرَات، فظَهَرَ عَجْزُ المكذِّبين، وبانتْ مكابرتُهم، وأنهم ليسوا على شيء، وأنهم كانوا كاذبين، وقد تحدَّى الله الإنس والجِنَّ أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]. والتحدِّي قائمٌ منذ نَزَلَ القرآن وإلى أن تقوم الساعة، وعَجْزُ المعارضين المكذِّبين قد ظَهَرَ لكل أحد، وهذا مِن أعظم البراهين المُوجِبة لتصديق جميع ما أخبر به من علوم الغيب والشهادة.

كما أن مِن أعظم البراهين أحكامُ هذا الدِّين، وصِدْقُ ما جاء به من الأخبار عن الأوَّلين والآخرين، وعن جميع أمور الغيب، وأنه لم يأت ولن يأتي علمٌ صحيحٌ لا محسوس ولا معقول ينقض خبرا من أخباره، كما أن أحكامه أعدلُ الأحكام وأهداها وأقْوَمُها، وبها الصلاح المُطْلَق في كل زمان ومكان، وقد بَانَ لكل عاقل أن الأمور العامة والخاصة لا يمكن صلاحها

---

(١) سورة الإسراء، الآية [٨٨].

واستقامتها واعتدالها حتى تُطبَّق على أحكام الله بين عباده ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]. ولا يُنكِر هذا ولا يُكابِر فيه إلا أحد رجلَيْن، إما مُعانِد مكابر يُنكِر الحقائق الواضحة والبراهين الساطعة، وإما ضَالٌّ جاهل من أعظم الضالِّين، فالعِناد والضلال لا يُستغرب على صاحبهما إنكارُ أعظم آيات الله، وأعظم البراهين والمعجزات الدالة على صِدْق الرسل وحقيقة ما جاءوا به، فهؤلاء داخلون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[2]. فهم كَذَّبوا بجميع آيات الله التي هي أَبْيَنُ الآيات وأعظمُها وأوْضَحُها، وبما أَرْسل الله به رسله من الحق النافع والصِّدْق.

* * * * *

---

(١) سورة المائدة، الآية [٥٠].

(٢) سورة غافر، الآيتان [٧٠-٧١].

رابعاً: تصديق القرآن العظيم

القضية الأخرى التي نتكلم عنها؛ ما يتعلق بكتاب الله عز وجل، هذا القرآن الذي هو كلام الله، وهو بين أيدينا، يحاول بعضُ الملاحدة التشكيكَ فيه، مرةً يُشكِّكون في صِدْقِه، ومرةً يُشكِّكون في حكمه، ومرة يُشكِّكون في أَثَرِه، ولكن إذا أردنا أن نعرف القِيمَة الحقيقية أو نعرف شيئًا من قِيمَة هذا الكتاب، أو أن نعرف صِدْقَه فلننظر للقضايا والأدلة الدالَّة على صِدْق هذا الكتاب، وأستَعْرِض في حديثي هذا عددًا من الأمور والأدلة الدالَّة على صِدْق هذا الكتاب، وعِظَم أَثَر هذا الكتاب في الخَلْق، وأنه لا صلاح للخلق إلا بهذا الكتاب والعمل به.

فمن الأدلة الدالَّة على صِدْق هذا الكتاب:

١) **ما ذَكَره المؤلف هنا من إعجاز هذا الكتاب**، وعدم قُدْرة المخالفين له على أن يأتوا بمثله، وتحداهم على أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، مع وجود العقول ووجود البلاغة، ووجود العرب الفصحاء العقلاء، ومع هذا التحدي لم يوجد من يزعم أنه سيأتي بكتاب يُماثِل هذا الكتاب، ولم يوجد من

يُعارِض هذا الكتاب بكتاب آخر، ولما حاول مُسَيْلَمة أن يأتي ببعض الآيات أصبح محلَّ سُخرية واستهزاء، ووَجَدَ الناسُ الفرقَ العظيم بين ما يقوله هذا الرجل وما يَرِد في النصوص الشرعية.

٢) ومن الحجج والبراهين في هذا الباب: أن القرآن قد أخبر بأن بعض العرب في عهد النبوة لن يُؤمِنوا، فقال: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[١]، وهكذا أيضًا ذُكِر عن بعض العرب نَزَلَت فيهم آيات تُخبر أنهم من أهل نار جهنم، فلم يقل أحد من هؤلاء على جهة التكذيب للكتاب: قد آمنتُ بك يا محمد، فيكون خبرُك كاذبًا، بل بَقَوْا على كفرهم واستمروا عليه.

٣) ومما يدل على صِدْق هذا الكتاب: الإعجاز التاريخي فيه، فإنه قد أخبر بوقائع حَصَلَتْ للأنبياء السابقين، وكان ما أخبر به هذا الكتاب مِن وقائع الأنبياء متوافقًا مع ما يَرويه أقوام أولئك الأنبياء وما يُذكر في كتبهم.

---

(١) سورة المسد، الآية [١].

٤) وهكذا أيضًا فيما يتعلق بالأخبار المستقبلية، فقد أخبر القرآن بوقائع تَحْدُث، فوقعت، ووَقَعَ ما في هذا الكتاب من الأخبار المستقبلية، ووَقَعَ ما في سُنَّة النبي ﷺ منها على وَفْقِ الخبر الذي جاء في هذين الأصلين.

٥) ومن الأدلة الدالَّة على صِحَّة هذا الكتاب وحُجِّيَّته:

الأمور العلمية التي وقعت في هذا الكتاب، دقائق تفاصيل لم نعرف صِحَّتها وحقيقتها إلا بعد قرون، والذي قد أُرسل إليه هذا الوحي أُمِّيٌّ لا يتمكن من الكتابة والقراءة، ومع ذلك يُخبر بحقائق علمية دقيقة لا نعرفها إلا بعد أزمنة طويلة، وفي الكتاب أيضًا أخبارٌ عديدة من الأخبار العلمية لم نطَّلع على حقيقتها إلى الآن.

٦) ومن ذلك أيضاً: ما في هذا الكتاب من الإشارة للمُخْتَرَعات العظيمة التي لم توجد إلا في عصرنا الحاضر، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝٤١ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾[1] يقول: ذرية أولئك الأقوام

---

(١) سورة يس، الآيتان [٤١-٤٢].

سيأتي لهم آلاتٌ عظيمة يَركبونها من السفن والمراكب وغيرها، بينما العصر الذي نَزَلَ فيهم الكتاب سيكون عندهم آلات تماثلها، لكنها ليست مثل تلك المراكب، وكثير من المخترعات الحاضرة في القرآن إشارات لوجودها، بل في القرآن إشارات إلى مخترعات لم توجد إلى الآن، فانظر مثلًا في سورة الصافات، لما قال الله عز وجل: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[1] إلى أن قال: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[2] ، هؤلاء المتكلمون في أعلى عِلِّيين في الجنة، وذلك الذي اطلعوا عليه في أسفل سافلين جاءوا بآلة اطَّلع، بَحَثَتْ عنه حتى وجدته ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾[3] أصبح عنده آلة تجعل من في أعلى عِلِّيين يتخاطب مع مَن في أسفل سافلين، وأصبح يتكلم معه صوتًا وصورةً، لم تكن هذه آلة بهذه المثابة لم تكن موجودة في

---

(١) سورة الصافات، الآيتان [٥٠-٥١].

(٢) سورة الصافات، الآيتان [٥٤-٥٥].

(٣)سورة الصافات، الآية [٥٦].

القرون السابقة، حتى عصرنا الحاضر لم تأت بَعْدُ، وإن كنا نتوقع أن تأتي، وأمثلة هذا وصوره كثيرة متعددة تدلُّ على صِدْق هذا الكتاب، وأنه من المعجزات.

٧) كذلك مما يدل على صِحَّة هذا الكتاب وصِدْق ما فيه: الإعجاز المتعلِّق بأحكامه، فقد دلَّ الناسَ على أفضل الأحكام وأحسنها، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] قاعدة عظيمة، فيها أحكام عامة بألفاظ يسيرة، يعجز أهل الدساتير والأنظمة أن يُوجِدوا مثل هذه القواعد بهذا الاختصار، ثم تطبيقها يُؤدِّي إلى إصلاح أحوال الخلق وإسعادهم.

٨) من إعجاز هذا الكتاب: قدرتُه على التأثير على النفوس؛ بحيث تتغيَّر حالُ الإنسان بقراءة آياتٍ من كتاب الله، متى أَوْلَى الإنسانُ قلبَه وعقلَه لهذه الآيات، مما لا يوجد له نظير في التأثير على القلوب.

---

(١) سورة النحل، الآية [٩٠].

٩) كذلك من الأدلة الدالّة على صِدْق ما في هذا الكتاب: البراهينُ العقلية والحُجَجُ الدامغة التي احتوى عليها، ومن أمثلة هذا قوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]، جاء بخمسة أدلة في ثلاثة أسطر، كلها تدل على صحة البعث، بأدلة عقلية مُقنِعة، وقد جاءت المعالجة العقلية في الآيات القرآنية، في قضايا كثيرة يكون فيها الإقناع على أعلى درجاته.

١٠) كذلك مما يدلّك على صِدْق هذا الكتاب: شمولُه لجميع القضايا؛ ما مِن واقعة تَقَعُ عند الناس إلا وفي كتاب الله

---

(١) سورة يس، الآيات [٧٨-٨٣].

حُكْم لها في ألفاظه العامة، صحيح لا يكون هناك تنصيص على كل قضية، لكن ما من قضية إلا وفي كتاب الله حُكْمٌ لها.

١١) هذا القرآن في مجلَّد واحد، يُنظِّم ما يتعلق بالنفوس، وما يتعلق بالأسرة، وما يتعلق بالمجتمع، وما يتعلق بالدولة، وما يتعلق بالسلوك، وما يتعلق بالعقائد، كيف جُمِع جميع ذلك في كتاب واحد؟! هذا الكتاب فيه تنبيه على الاستراتيجيات التي تُصلِح أحوالَ الناس، يضعون استراتيجياتهم في مجلَّدات، وهذا في آيات قليلة تُنظِّم حياة الناس، وتجلب لهم الخير والسعادة.

١٢) كذلك الإعجاز البلاغي في هذا الكتاب كانت العرب الفصحاء تستهويهم آيات هذا الكتاب، ولو كانوا مخالفين له مكذِّبين به، حتى إن بعضهم كان يأتي كل ليلة ليستمع قراءة النبي ﷺ لهذا الكتاب؛ لما فيه من بلاغة بَهَرَتْ عقولَهم، وقد ذكر الله عز وجل أن هذا الكتاب بلسان عربي مبين، وأنه من جِنْس كلامِكم يا أيها العرب، بالحروف التي تتكلمون بها، ومع ذلك قد جاء بأنواع من البيان والبلاغة تَعْجزون على أن تأتوا بمثله، ومن أمثلة البلاغة: أن كل لفظة

من ألفاظ هذا الكتاب يكون لها ميزان مناسب، في مواطن التسهيل تأتي بألفاظ تتناسب مع ذلك المقام، وفي مواطن التغليظ يُؤتَى بألفاظ تتناسب مع ذلك المقام، انظر: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾[(١)] ﴿قَصَمْنَا﴾ تتناسب مع السياق، فهي لفظ قوي يتناسب مع المقام، بل في الموطن الواحد والآية الواحدة يأتي بالألفاظ القوية في موضع القوة والألفاظ السهلة في مواضع التسهيل، انظر لقوله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[(٢)] ﴿لِنتَ﴾ من الألفاظ السهلة وكذلك ﴿رَحْمَةٍ﴾ ، ثم قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ ﴿فَظًّا﴾ ﴿غَلِيظَ﴾ هذه ألفاظ قوية نَاسَبَتْ مقام الغلظة، وشواهد هذا في كتاب الله كثيرة، ومن أمثلة بلاغته: أنك لا تجد ألفاظًا متنافِرة في هذا الكتاب، مَن استمع لهذا الكتاب فَرَّقَ بينه وبين غيره من كلام الناس، مما يدل على أن هذا الكتاب فيه من البلاغة والحُجَّة ما ليس في غيره.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [١١].

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٥٩].

١٣) بل من معجزات هذا الكتاب أن يُؤتَى فيه باللفظ الواحد يُراد به معانٍ مختلفة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١) ما معنى حكيم؟ هل هو من الحُكْم والقضاء أم من الحكمة؟ كلّ من الأمرين مُرادٌ بهذا اللفظ، بل في بعض المواطن يُؤتَى بألفاظ تدلّ على حكمين مختلفين متقابلين، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾(٢) ما معنى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾؟ هل المراد ترغبون في أن تنكحوهن، أو أن المراد ترغبون عن أن تنكحوهن؟ معنيان متضادان متقابلان، كلاهما مراد بالآية، وهذا من إعجاز القرآن؛ ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: (هذه الآية نزلت في الرجل تكون عنده اليتيمة، يرغب فيها لجمالها ومالها، فلا يعطيها مهر نسائها، ونزلت في الرجل عنده اليتيمة لا يرغب فيها لمال ولا لجمال، فيزوِّجها من غير كُفئِها)(٣). وهذا من إعجاز هذا القرآن.

---

(١) سورة النساء، الآية [٢٦].

(٢) سورة النساء، الآية [١٢٧].

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠٨).

١٤) كذلك من إعجاز هذا القرآن: عدم التناقُض والتضادِّ في آياته، ولذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[١]، قد يوجد توهُّم من بعض الناس أن هناك تعارُضًا، ولكن هذا تَوَهُّم في ذِهْن ذلك الشخص، فإذا بُيِّن له الحال عرف أنه لا يوجد تعارُض وتناقُض حقيقي، وقد قدَّر الله عز وجل وجود هذا التوهُّم في بعض الأذهان من أجل أن يكون سببًا لاشتغال الناس بهذا الكتاب، من أجل دَفْع ما يُتَوَهَّم من الاختلاف والتعارُض، ومن أمثلة ذلك: ما يتعلق بالقصص القرآني؛ فمثلاً: قصة موسى تكررت في القرآن في مواطن، لا يوجد تعارُض بينها ولا تناقُض، فإن قال قائل: لِمَ هذا التكرار؟ قيل: هذا لحكمة؛ فإنَّ كل سورة من سور القرآن لها موضوع عامٌّ، فيُسَاقُ من قصص الأنبياء ما يتوافق مع ذلك الموضوع العام لتلك السورة، فمثلًا في سورة الأنبياء نجد أن الله عز وجل قد قَصَّ علينا عددًا من قصص أنبيائه الذين وَرَدَت قصصُهم في

---

(١) سورة النساء، الآية [٨٢].

سور أخرى، لكن سورة الأنبياء فيها إشارة إلى إجابة الله لدعاء أنبيائه، بينما في سورة أخرى كان السياق في الآيات لبيان أن الله ينصر أنبياءه، وفي سورة أخرى لبيان أن الأنبياء استمروا على الدعوة إلى الله عز وجل وإلى دينه.

١٥) كذلك من أدلة صِدْقِ هذا الكتاب: حِفْظُ ربِّ العزة والجلال له، فقد أخبر الله جل وعلا أن هذا الكتاب محفوظ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ** ﴾[١]، وهكذا بقي هذا القرآن محفوظًا؛ من متى توفي النبي ﷺ؟ من أكثر من أربعة عشر قرنًا، والقرآن محفوظ من ذلك العهد لا تغيير فيه ولا تبديل، مع أن أعداءه كُثُر، والقدرة على طبعه مرات متعددة ممكن، ومع ذلك كان هذا الكتاب محفوظًا، والكتب التي نزلت على الأنبياء السابقين لم تَسْلَم من التحريف والتبديل، بخلاف هذا الكتاب، بل بعض المؤلفات التي ليس بيننا وبين وقت تأليفها إلا سنين قليلة، نجد اختلافات في هذه الكتب، ومن ثَمَّ تشاهد ما يسمونه

---

(١) سورة الحجر، الآية [٩].

بالتحقيق؛ يشير إلى النُّسَخ وإلى اختلافها، مع أنه لم يجد إلا ثلاث نُسَخٍ أو أربع نُسَخٍ وبينها فُرُوقات، فهذا في الكتب والمخطوطات فإن من الأمور المشاهدة المعلومة فيها اختلاف النُّسَخ، أما في القرآن فلا يوجد هناك اختلاف نُسَخ.

١٦) كذلك من إعجاز هذا الكتاب والأدلة الدالّة على صِدْقِه: تيسيرُ حِفْظِه؛ نجد أن الحَفَظَة لهذا الكتاب كُثُر، لا يمكن أن تجد كتابًا يُحفَظ مثل ما يُحفَظ هذا القرآن، بل ولا بنسبة قليلة منه، وليس ذلك في بلد دون بلد ولا في مكان دون مكان، كما كان عند العرب يكون عند العَجَم، تجد من العَجَم من يحفظ القرآن وهو لا يعرف من ألفاظه ومن معانيه شيئًا، وهذا أيضًا من المعجزات العظيمة، وهكذا - أيضًا- فيما يتعلق بتيسير فَهْمِ هذا الكتاب لَمن أراد تَفَهُّمَه، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾**[1]، والأدلة الدالّة على صِدْقِ هذا الكتاب وحُجِّيَّته، كثيرة، وما أوردته نماذج منها.

---

(١) سورة القمر، الآية [٢٢].

أسأل الله جَلَّ وعلا أن يرزقنا وإياكم العِلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم من الهُداة المهتدين، هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

* * * * *

خامساً: نقض أصول الملحدين

تقدم ذكر شيء من المسائل المهمة التي تنقض أصول الملاحدة، وأنبه إلى أمر مهم في هذا الباب، وهو أن الملاحدة عند مناقشتهم لأهل الحق، يعرضون مسائل يناقضون بها أقوال أهل الحق، ويشغِّبون بها عليهم، وتلك المسائل ليست هي المقصودة أصالة، وإنما تكلموا فيها باعتبار أنها وسائل تحقق مقاصدهم، وتنفِّر الخلق من أهل الحق، ولكن بناء تلك المسائل التي يشغِّبون بها على أهل الحق مخالف للطريقة الشرعية الإسلامية، فمثلًا قد يعرضون لبعض الأحكام الشرعية التي يزعمون أنها مخالفة لأهواء الناس ورغباتهم، ويقولون بأن الدين يلزم بكذا وكذا مما يخالف ما يرغبه الناس، ومما يخالف حرية الخلق، فعند عرض هذه المسائل والجواب عن شبهاتهم، إما أن تقوم بنقل الحديث إلى الأصل الذي بنوا عليه رأيهم في تلك المسألة، وهذا أولى الجوابين، وإما أن تبتدئ بذكر الأصل الشرعي في ذلك الباب، ثم بعد ذلك تذكر الجواب عن الشبه الواردة فيه.

ففي مثل المسألة السابقة: إما أن تنقل الكلام إلى مسألة وجوب الإيمان بالله ربًا معبودًا آمرًا مطاعا، وبالتالي تقول: إذا أثبت أنه يجب طاعة الله، وأن طاعة الله هي المحققة لخيري الدنيا والآخرة، فقد ألقمته الحجر.

النوع الثاني من أنواع الجواب: أن تبيِّن الأصل الشرعي فيما يتعلق باتباع الهوى، وتبيِّن نظرة الشرع للآثار المترتبة على اتباع الناس لأهوائهم، من وجود المشقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾(١) أي: للحقتكم المشقة. ومن وجود الفساد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾(٢) الآية. ومن وجود الاختلاف والاضطراب والتنازع والاقتتال، إلى غير ذلك من الآثار المترتبة على هذه الجزئية.

ولعلنا -إن شاء الله- نتكلم عن الأدلة التي يستندون إليها، ومنها قولهم بالحرية، ونبيِّن حقيقة هذا القول الذي

---

(١) سورة الحجرات، الآية [٧].

(٢) سورة المؤمنون، الآية [٧١].

يزعمون، والآثار المترتبة عليه مما يعود بالسوء والضرر على الخلق.

ومن الأمور التي تقضي على أقوال الملاحدة: الحديث عن أربع قضايا:

الموضوع الأول: ما يتعلق بإثبات الدار الآخرة، وأنها دار الجزاء والحساب والثواب والعقاب: فإن هؤلاء الملاحدة يحاولون صرف الناس عن الدار الآخرة، لتكون نظراتهم مقتصرة إلى ما تحت أقدامهم في أمور الدنيا فقط، بنظرة منحرفة عن الصواب والحقيقة والواقع، فتذكير الناس بالدار الآخرة يقطع أصول الملاحدة. والكلام في الدار الآخرة يكون على نوعين:

النوع الأول: إثبات الدار الآخرة، وأنها دار الجزاء، والأدلة القرآنية - التي اشتملت على أكمل درجات الأدلة العقلية، وتدل على إثبات الدار الآخرة- كثيرة ومتعددة، ويمكن إعادتها إلى أصول: منها: الاستدلال على الدار الآخرة بقدرة رب العزة والجلال، وهذا كثير في الآيات القرآنية، مرة يستدل على الدار الآخرة بقدرته جل وعلا على إحياء الأرض

الميتة، ومرة يستدل على ذلك بخلقه الخلق أول مرة، ومرة يستدل على ذلك بإخراج المتضادات بعضها من بعض، وانظر مثلًا إلى أواخر سورة يس إذ فيها بعض الأدلة الواردة في هذا الباب، ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[1].

ومن أنواع الأدلة الدالة على إثبات الدار الآخرة: العدل، لأن العباد في الدنيا يتفاوتون في أعمالهم الصالحة، فلا بد من وجود دار يجازى كل واحد منهم على مقدار أعماله، حتى يكون هناك عدل، فنفي الدار الآخرة – مع تفاوت الخلق في أعمالهم الدنيوية– قول بنفي العدل في الخلق. وقد ورد في إقامة الأدلة من هذا النوع آيات متعددة في كتاب الله عز وجل.

الطريق الآخر: طريق وعظي، بتذكير الناس بتفاصيل نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، فإن هذا له تأثيراً عظيماً في النفوس.

---

(١) سورة يس، الآية [٧٨].

إذن هذا هو الموضوع الأول الذي ينبني على نشره في الناس صدهم عن الباطل الذي يقوله هؤلاء الملاحدة بإثبات وجود الدار الآخرة وأنها دار الجزاء.

الموضوع الثاني الذي تؤدي إشاعته في الناس إلى عدم الاستجابة لأصول الملاحدة: الكلام في أعمال القلوب، ابتداءً من الإخلاص، مع التطرق إلى اليقين والتوبة التي هي ندم القلب والخوف من الله جل وعلا والخشية منه سبحانه، والرجاء، ومراقبة رب العزة والجلال، واستشعار العبد لمراقبة ربه له، ونحو هذا من أعمال القلوب، فإن محادثة الخلق بها تجعلهم يعرفون بطلان أقوال هؤلاء الملاحدة.

الموضوع الثالث الذي يكون من أسباب صد الناس عن الانجراف إلى دعوات أهل الإلحاد: الكلام في المقارنة بين أهل الحق والملاحدة، فإن من يقارن بين أحوال أهل الحق والملاحدة يجد فرقًا عظيمًا لصالح أهل الحق، وأضرب لذلك عدداً من الأمثلة نتبيَّن بها الفرق الشاسع بين أهل الحق وهؤلاء الملاحدة:

المثال الأول: في الطمأنينة والسكينة، فأهل الحق على يقين من عقائدهم، كأنهم الجبال الرواسي لا تتمكن الرياح من

زلزلتها أو تحريكها، بخلاف الملاحدة ومن سار على طريقتهم، فإنهم مضطربون، لا يوجد عندهم يقين وطمأنينة.

والمثال الثاني: في باب الإحسان، فإن أهل الحق يرجون ما عند الله جل وعلا، ومن ثمَّ فهم يتقربون إلى الله بالإحسان إلى الخلق، أخذًا من النصوص الشرعية الواردة في هذا الباب، من مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ**﴾[1]، ومن قوله جل وعلا: ﴿**هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ**﴾[2]، ومن مثل قول النبي ﷺ: **(مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ)**[3]، **(وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا دام العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)**[4]، ونحو ذلك من النصوص. وإذا

---

(١) سورة النحل، الآية [١٢٨].

(٢) سورة الرحمن، الآية [٦٠].

(3) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب- باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم (٢٥٨٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩).

قارنت بين أحوال من لديه المال ممن عنده يقين ومعتقد صحيح وبين أهل الأموال الذين يميلون لأهل الإلحاد وجدت الفرق شاسعًا فيما يبذل من إحسان للخلق في معاشهم، وهكذا أيضًا فيما يتعلق بالإحسان للخلق؛ في القيام بشؤونهم، والإصلاح بين المتخاصمين منهم، وجهودهم في رعاية مَن يحتاجون إلى رعاية من الأيتام والأرامل، فهذا يدلك على الفرق الشاسع بين أهل الحق وهؤلاء.

المثال الثالث: في الاختلاف، فإن أهل الحق يجمعهم قول واحد منبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمتى تَرَفعُوا عن الأغراض الدنيوية توحدت كلمتهم، بينما هؤلاء الملاحدة كل منهم له مقالة كل منهم يتبنى طريقًا ومنهجًا يخالف صاحبه، وإذا كانوا يجتمعون في محاربة أهل الحق ويتوحدون في ذلك إلا أنهم إذا جاءوا وحدهم اختلفوا وتنازعوا واضطربوا، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[1].

والمثال الرابع: ما يتعلق بالقبول عند الخلق، فإن أهل الحق إذا وجدت عندهم عقيدة صافية، وترفع عن الأغراض

---

(١) سورة الحشر، الآية [١٤].

الدنيوية، ومجاملة أهل الباطل؛ فإن الله جل وعلا يجعل لهم القبول في الأرض، وشاهد هذا قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[1]، وقول النبي ﷺ: **(إن الله إذا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ؛ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ؛ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ)**[2].

ومهما حاول أهل الباطل الترويج على الناس بأسماء بزعم أنها تسعى للصالح العام، وأنها تهتم بحوائج الناس، إلا أن ذلك ينكشف سريعًا، ويتبيِّن أن هذه الأمور إنما هي وسائل لترويج عقائدهم الباطلة.

المثال الخامس: ما يتعلق بجزع أصحاب هذه المناهج عند حلول أي مصيبة بالواحد منهم، بخلاف أهل الحق فإنهم

---

(١) سورة مريم، الآية [٩٦].

(2) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب المقت من الله تعالى (٦٠٤٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كالجبال، مع أن أهل الباطل هؤلاء الملاحدة يحاولون إلحاق الضرر والأذى بأصحاب الحق بكل ما يستطيعون من الوسائل، إلا أن أهل الحق يبقون على معتقدهم، ويظهرونه للناس، ولا يمالئون فيه أحداً، ولا يجاملون، بينما هؤلاء الملاحدة إذا تعرضوا لأدنى شيء مما ينافي رغباتهم وأهواءهم فإنهم يتلونون بخلاف ما يعتقدون.

القضية الرابعة: الكلام عن أثر الإيمان في النفوس: فإن الكلام في أثر الإيمان في النفوس يجتث دعوة أهل الإلحاد ويقطع مقالاتهم ويبيِّن عوارهم، خصوصًا إذا تمت المقارنة بين آثار الإيمان وآثار الإلحاد، فما هو أثر الإيمان على النفوس عند حلول النعم؟

الجواب: الشكر، والاعتراف بهذه النعم، وصرفها في مراضي رب العزة والجلال، مما يعود بالخير والنفع للجميع، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

وكذلك من آثار الإيمان: أنه عند نزول المصائب وحلول

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [٧].

النكبات يتحلى المؤمنون بالصبر، والصبر هو الشجاعة التي يأتي الانتصار بعدها.

وكذلك من أثر الإيمان: اليقين الجازم، إذا سمع قول الله جل وعلا: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١) يوقن، ولم يبق عنده تردد بأن الله يعلم ما في قلبه ويعلم جميع ما يؤديه العبد من الأعمال ونحو ذلك.

كذلك من آثار الإيمان: انتظام أحوال الناس، وعدم وجود الفوضى المبنية على اتباع الناس لشهواتهم وأهوائهم، فمتى رُفع الإيمان كان الناس فوضى، ووقع بينهم من التنازع والاضطراب والاختلاف الشيء الكثير.

هكذا أيضًا فيما يتعلق بأثر الإيمان: وجود الألفة بين المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾(٢).

(١) سورة المائدة، الآية [٩٧].

(٢) سورة الأنفال، الآيتان [٦٢-٦٣].

فالمقصود أن الكلام في أثر الإيمان يعرِّف الناس بحقيقة أقوال هؤلاء الملاحدة وينفرِّهم منهم.

ومن ثمَّ فإن الكلام في هذه الموضوعات الأربعة خاصة في أزماننا هذه، - سواء في الخطب، أو في المقالات، أو في وسائل التواصل الحديثة - من أعظم ما يرد الله به جل وعلا دعوات الإلحاد، وإن لم يكن الحديث فيها موجهًا أصالة لهؤلاء الملاحدة، ولكن الكلام في هذه الموضوعات يقلل - بل قد يقطع على هؤلاء الملاحدة - طريقتهم في اللعب على الناس وتمويه الحقائق، وهي: الكلام عن الدار الآخرة، والكلام في أعمال القلوب، والمقارنة بين أهل الحق والملاحدة وبيان آثار الإيمان، وهذه القضايا الأربع ذكرتها على سبيل المثال، وإلا فإن الإنسان لو أخذ أحد هذه الموضوعات ومحصَّ النظر فيه، وراجع القرآن العظيم في هذه الأمور لكان ذلك من أسباب وقوفه على العديد من الأوجه التي يمكن الحديث عنها في هذه الموضوعات. لو أخذت مثلًا المقارنة بين أهل الحق والملاحدة لوجدت شيئًا كثيرًا في واقع الناس من جهة وفي دلالة الأدلة من الكتاب والسنة عليه من جهة أخرى.

* * * * *

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي:

فصل

وحيثُ كان الـمُلْحِدون المكذبون بآيات الله، وبما أرسل به رسله قد علموا أنَّه متى تَقَابل ما جاءت به الرسل من الحق مع باطلهم: لم يكنْ لباطلهم أدنى ثُبُوت، بل اضْمحَلَّ كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]. فحيثُ علموا بهذا الأمر مكروا مكرًا كُبَّارًا، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾[2]، الذي من جملته ظهور الحق على الباطل، وانتصارُهُ في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، فمِن أعظم مكرهم ما أَشَرْتُ إليه سابقًا بإضعاف علوم الدين أو منعها مِنْ مَدَارِسهم.

ومنها: أنهم قالوا: يجب أنْ تكون الأفكار حُرَّة، وألَّا تتقيَّد بشيء مِنَ القيود، وذلك لقصد التَّحلُّل عما جاءت به

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [١٨].

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان [٤٦-٤٧].

الرسل والأديان الصحيحة ؛ لأنهم إذا زعموا أنَّ لكل أحد فِكْرَه، وأنَّه مهما خَطَرَ بباله من الأفكار والعقائد الهدَّامة فلَهُ أنْ يَبُوحَ بها ويدعوَ إليها، وأن لا يعارضها بعقيدة صحيحة ولا فاسدة ؛ كان مضمون هذا وجوبَ التَّحلُّل عن الأديان، وعدم التقيُّد بها، وهذا هو الإلحاد والزندقة، وهؤلاء أعظم جُرْمًا وأشد طغيانًا من إخوانهم السابقين الذين قالوا : ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[1].

فأولئك معهم نوعُ اعتراف بالله، صَحِبَهُ الاستكبار عَنِ الانقياد للرسل، وأمَّا هؤلاء فقلوبهم مُنْكِرَة للحقِّ الذي جاءت به الرسل، وهم مستكبرون عَنِ الانقياد لرسل الله وكتبه، بل مستكبرون عن الإيمان بالله.

ومِنَ المعلوم الذي لا يَتَمَارى فيه العقلاء أن إطلاق الحرية للأفكار، وعدم تقيُّدها بالحق الثابت الذي قامتِ البراهين على صدقه وحقيته: هُوَ الكفر بالرسل، وهو

(١) سورة الأنعام، الآية [١٢٤].

الفوضى، الذي يؤدِّي بأهله إلى الهلاك الدنيوي قبل الهلاك الأُخروي، ففوضوية الأفكار هي فوضوية الأفعال.

فعلى ذلك فليفعل كل أحد ما أراد مِن فِسقٍ وفُجور وتَهَتُّك، وليطْلِقْ لحريته ما شاءت نفسه الأمارة بالسوء من فحشاء ومنكر وبغي، لا يتقيَّد بشريعة ولا بمروءة ولا بإنسانية، بل ينتقل مِنْ طَوْرِ الإنسانية إلى طَوْرِ البهائم، بل إلى طَوْرِ الشياطين. وهذا ما أرادوه، وهذا ما وصلوا إليه، المُتَوِّغلون منهم والباقون يسعون خلفهم.

ثُمَّ إنَّه مِنَ المعلوم أنَّ حرية الأفكار، وإعطاء كل أحد أنْ يتكلَّم بما يريد ويشتهي، والإرادات متباينة، والأغراض مختلفة: أنَّ في هذا هلاك الحكومات والشعوب، فالخلق في غاية الضرورة إلى ضابط يضبطهم، وإلى قوانين صارمة قوية تحجِزُهم عنِ الشرور المتنوِّعة، ومتى أُعْطُوا حريتهم مَرَجَتْ أقوالهم، واخْتَلَّت أعمالهم، وتباينت أفعالهم، فوقعوا في الفوضى المُهْلِكَة، والشرور القاتلة، والأمم التي تعمل على هذا هي ساعية في طريق هلاكها الدنيوي قبل الهلاك الأخروي.

فالأفكار الصحيحة هي الأفكار السليمة المُتقيِّدة بالحق، التي غايتها الحق وسيرها مع الحق، وهي الأفكار التي دعا الله عباده إلى التفكير فيها في آياته المتلُوَّة وآياته المشهودة؛ ليعرف الحق ويعمل بالحق، وذلك هو الصلاح للظاهر والباطن، وحيث قد عَلِمَ أهل العلم والهدى والرشد أنَّ ما جاء به الرسول هو الحق، وهو الذي يهدي إلى كل خير: كان الواجب المُتَعَيِّن والفرض الأكيد التَّقيُّدَ بهذا الحق علمًا وإرادةً وعملًا؛ فتكون الأفكار حَائِمَة حول هذا الحق المبين؛ لاستخراج علومه ومعارفه النافعة، وحول إرشاداته ومواعظه؛ لسلوك الصراط المستقيم.

وهذا التَّقيُّد الذي هو أفرض الفروض على المكلفين هو ينْبُوع العلم وأصل الخير، ومدار صلاح الدين والدنيا عليه، وهو المانع من الفوضى، ومن الانطلاق في الهلاك، فيتقيد العبد بهذا الحق، ولا يتقيَّد بأيِّ قول يعارضه، ولا بأيِّ عمل ينافيه، ولو صدر مِن أكابر الناس؛ لأنَّ ما سوى الرسول ﷺ غيرُ معصوم، وأما ما جاء به الكتاب والسنة من الحقائق في الأصول والفروع فهو مُحْكَمٌ معصوم، يدل على كمال

اليقين العلمي واليقين العملي ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[(١)]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[(٢)]، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[(٣)]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[(٤)]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[(٥)]، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[(٦)].

وإذا أردتَ أَنْ تعرف الفَرْقَ العظيم بين مَن يدعو إلى تحرير الأفكار مِن كل القيود، وبين مَن يلتزم الحق الذي جاءت به الرسل، ولا يبالي بِمَن خالف ذلك، وبين مَن يلتزم العمل بالحق، وبين مَن يمشي بعمله مع غريزة ودواعي نفسه فاضْرِبْ لذلك مثلين:

---

(١) سورة النساء، الآية [١٢٢].

(٢) سورة النساء، الآية [٨٧].

(٣) سورة الأحزاب، الآية [٤].

(٤) سورة الإسراء، الآية [٩].

(٥) سورة فصلت، الآية [٥٣].

(٦) سورة الجاثية، الآية [٦].

أحدهما: مَنْ قلبُهُ خَالٍ مِنِ التزام الحق والعمل به، وهو يجري في أعماله وأقواله على مقتضى ما تدعوه إليه نفسه مِنَ الإرادات المتنوعة، فإنه لا يبالي بالظلم والبغي والفحشاء والمنكر، فإنَّ النفس أمارة بالسوء؛ فمَنْ أطاعها طاعة عمياءَ قادتْهُ إلى الهلاك والخسار، تجد مثل هذا أفكاره متضارِبَة، ونظريَّاته متناقضة، وعلومه غير صحيحة، فهو في أمر مَرِيجٍ، في فكره وسعيه وعمله وجميع تصرفاته.

والثاني: مِنَ الرجلين رَجلٌ عرف الحق والْتَزَمَه، وعرف أنَّ ما جاءت به الرسل حق، وأنَّ الكتاب القرآن وسنة محمد ﷺ جاءَا بكل علم صحيح، وبكل حق وصدق، وبكل هدًى ورشاد، وبكل خير عاجل وآجل، فحَصَرَ أفكاره في هذا المَيْدَان الجليل، واستخرج مِن كنوز الكتاب والسنة كلَّ حقٍ وهدًى ورشد، وتَحَلَّت نفسه بكل خلق جميل يدعو إليه الشرع، وتخلَّت عَنْ كُلِّ خُلُق رذيل، فصار عارفًا بالحق، عاملًا بالحق، فهذا لا تسأل عما يحصل له مِنَ المعارف الجليلة، والعلوم اليقينية، والأخلاق الجميلة، والسير في جميع تصرفاته على العدل الذي هو الصراط المستقيم، فهل يستوي هذا وذاك ﴿أَفَمَن

يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

فالأول ضالٌّ غاوٍ ساعٍ إلى الهلاك والخسران، والثاني مهتدٍ عالمٌ بالحق عاملٌ به، يسعى إلى كل خير وبِرٍّ وكرامة.

والمقصود أنَّ الملحدين والمغترَّ بهم أَبْدَوْا وأعادوا في الدعوة إلى حرية الأفكار، والغرض مِن هذا: التحلُّل من أديان الرسل، ومِن الأخلاق الجميلة؛ لتنطَلِق النفوس فيما شاءت، فتكون البهائم أحسن حالًا منها، والعقول والأفكار متفاوتة في إدراكها وفي مقاصدها، وفي غاياتها كالإرادات، بل الإرادات تَبَعُ الأفكار، ولو أنهم قَيَّدوا أفكارهم بالحق الذي جاءت به الرسل، وإراداتَهُم باتباع ما نزل الله: لكان خيرًا لهم وأقوم. ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢]. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة الملك، الآية [٢٢].

(٢) سورة الروم، الآية [٢٩].

(٣) سورة القصص، الآية [٥٠].

وقال ﷺ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»**[(١)]؛ فمَن كان هواه تَبَعًا لما جاء به الرسول لا يزيغ عنه فهو المؤمن الحقيقي، وهو الذي قد هُدِيَ للتي هي أقوم، في علومه ومعارفه وأخلاقه، وهو الذي أطمأنَّت نفسه إلى الصدق والحق؛ فإنَّ الصدق طمأنينة، والكَذِب ريبة، والباطل صاحبه في أمْرٍ مَرِيجٍ.

* * *

فَصْلٌ

ومما روَّج به الملحدون باطلهم وعلومهم المخالفة للدين:

«أنهم زخرفوا لها العبارات، فَسمُّوها تجديدًا ورُقيًّا وتقدُّمًا، ونحوها من الأسماء التي يُغرَّر بها ويغترُّ بها مَنْ لا بصيرة له، وسَمّوْا الحق الذي جاءت به الرسل جُمُودًا ورجعيَّة ورجوعًا إلى الوراء وتخديرًا، كما قال تعالى عن أسلافهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤)، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١٥).

وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ [(١)]».

فأخبر تعالى أنَّ هذا دأبُ أعداء الرسل في كل زمان: أنهم يزخرفون العبارات؛ لتحسين باطلهم وتقبيح ما جاءت به الرسل، وأنهم يَتَواصَوْن بذلك، ويفترون على الله الكذب، وأنَّه يَغترُّ بهم مَنْ لا علم له ولا بصيرة ولا إِيمَان، فهؤلاء أخذوا كل ما افتراه الأولون مِنْ أسلافهم الْمُكَذِّبين، وزادوا زيادات كم اصطادوا فيها مِن ضعفاء البصائر.

وليس ما جاءت به الرسل جُمُودًا ولا رجوعًا إلى الوراء، وإنما هو الحق والنور والحياة والرشد الذي لا حياة للوجود ولا للقلوب إلا به، ولا نُورَ إلا باقتباس نوره، وهو الْمُوقِدُ للهمم والعزائم إلى كل خَصْلة حميدة، وإلى كل رُقيٍّ صحيح وتقدُّم نافع، فإنَّ مِن أصول الشريعة الكبرى: العمل بالأسباب النافعة، والحثُّ على كل عمل ومصلحة، والاستعانة بالله في تحقيق ذلك.

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١١٢-١١٣].

ومِنَ المعلوم أنَّ مَنْ تحقَّق بهذَيْن الوصفَيْن، بذلُ المجهود والاستعانة بالمعبود: فإنه لا يزال في تقدُّم مطَّرِدٍ في إصلاح الدين وإصلاح الدنيا المعينة على الدين، وفي "الصحيح" عنه ﷺ أنه قال: **(اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ)**[(١)] وهذا شامل للأمر بالحرص على ما ينفع في العاجل والآجل، وكم في كتاب الله مِنَ الأمر بالأعمال الصالحة النافعة، والأمر بالاستعانة بالله التي هي روح الأعمال، وبها قَوَامُها، فإنَّ مَنِ استعان بالله كفاه وأعانه وقوَّاه وأيده بِرُوحٍ منه ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ**﴾[(٢)].

وقال تعالى في الأمر بالصبر على الجهاد، ومقاومة الأعداء، والترغيب في ثواب ذلك: ﴿ **إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ**﴾[(٣)]،

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤).

(٢) سورة الطلاق، الآية [٣].

(٣) سورة النساء، الآية [١٠٤].

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1]. فهذا الأمر بملازمة الصبر على كل عمل نافع، والبشارة لهم بمعيَّة الله ومعونته.

وأما العلوم المادية الخالية مِنْ رَوْح الدين وروحه، فإنها تَقْدُم إلى الهلاك والدمار، وتقدُم إلى هدم كل خُلُق جميل، والاتِّصَاف بكل خُلُق رذيل، والمشاهدة والحس أكبر شاهدٍ على هذا، وذلك أنَّه مِنَ المُمتَنِع المُحالِ أَنْ يحصل التقدُّم الصحيح إلَّا إِذَا صَحِبَه الدين الصحيح الملازم للحق؛ فإنَّ الباطل - وإنْ كان له نوع صَوْلَةٍ - فآخره الزوال والاضْمِحْلَال، ومنتهاه الخسارة والهلاك والتَّبَار[2].

فعند هؤلاء الملحدين أنَّ التجديد والرقي هو الانْدِمَاج في معنويَّة الأجانب أعداء الأديان كلها، وزوال شخصياتهم في شخصيات أولئك، والتَّشبُّه بهم في أخلاقهم ولباسهم وعوائدهم الدقيقة والجليلة، **(وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)**[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٤٦].

(2) **التبار**: (الهلاك). «لسان العرب» مادة (ت ب ر).

(3) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٩٢)، وأبو داود (٤٠٣١)، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٦٩).

فيَرَوْنَ البقاء على أخلاق دينهم وقومهم، التي هي الأخلاق العالية، يَرَوْنَ البقاء عليها جمودًا، والانحلالَ عنها هو الرُّقِي، فاستبدلوا الأدنى الخسيس بالأعلى الكامل النفيس، فصاروا مع أعدائهم في ظاهرهم وباطنهم، وصاروا بذلك أكبرَ سلاح للأعداء على دينهم وقومهم، وبهذه الحال تَنْحلُّ معنويَّاتهم، ويَنْدَمِجون في غيرهم في كل شيء، وهذا أبلغ ما يريده الأعداء من المُتَسَمِّين بالإسلام.

* * *

فَصْلٌ

ومِمَّا يُروِّج به المنحرفون باطلَهم: لَهَجُهُم الشديد بالثقافة العصرية، زاعمين أنَّ الأخلاق لا تتهذَّب ولا تتعدَّل إلا بها، ويَطْنِبُون في مدحها والثناء عليها ومدح المتَّصفين بها، وذمِّ مَنْ لم تكن له هذه الثقافة والسخرية منه، وهم يفسِّرونها تفاسير متباينة منحرفة، كل يتكلَّم بِمَا يخطُرُ له؛ لأنَّ العلوم إذا كانت فوضى والأخلاق تتبعها هكذا يكون أهلها، لا يتَّفِقون في نظريَّاتهم وأعمالهم وأخلاقهم، ولا يمكننا شرح ما يقولونه عن هذه الثقافة المنحرفة، ولكنه قد عَلِمَ أهلُ الحِجَا وأهل

العقول الراقية: أنَّ الثقافة التي يَلْهَجُون بها هبوط أخلاق، وذهاب المعنويات الصحيحة، والزهو والعجب والكبر الذي هو أكبر داء يُبْتَلَى به العبد.

وإنَّمَا الثقافة الصحيحة والتهذيب النافع هو ما جاء به الدين الإسلامي؛ فإنَّه مُحالٌ أنْ تتهذَّب النفوس وتَكْتَسِب الفضائل بعلوم المادَّة المحضة وأعمالها، والمشاهدة أكبر شاهدٍ على ذلك، فإنَّها مع تطوُّرِها وتبحُّرها عجزت كلَّ العجز عن إصلاح الخلائق واكتسابها الفضائل، وعجزتْ عن ترفُّعها عن الرَّذائل، وإنما الذي يتكفَّل بهذا الإصلاح ويتولَّى هذا التهذيب الصحيح، ويوجِّه الأفكار إلى العلوم الصادقة، والأعمال إلى الخير والهدى والصلاح، ويزجرها عن كل شر: هُوَ ما جاء به الدين الإسلامي، فهو مُصلِحٌ للظاهر والباطن، للعقائد والأخلاق والأعمال، حاثٌّ على كل فضيلة، زاجرٌ عن كل رذيلة.

فرُوحُ ما دعا إليه الدين الإسلامي الإيمان بالغيب، المتضمِّن للإيمان بالله العظيم، وما له مِنَ الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والأفعال الحميدة، والتصاريف

السديدة، ويتضمَّن الإيمان بالجزاء العاجل والآجل عن الأعمال الصالحة، والأعمال السيئة التي لا يُعْرَفُ تفاصيلُها إلا مِن جِهَة الرسل، وهي التي تَزْرَع في القلوب الرغبةَ في فعل الفضائل والخيرات، والتَّنافُسَ في اكتساب الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى الخلق، وتزرع فيها كراهة الشرور والرذائل، وهي التي يكون لها التأثير العظيم في إصلاح الأفراد والجماعة، قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

فهذا الذي يُوجِّه الأفكار والإرادات والأعمال إلى كل خير، ويَزْجُرُها عن كل ضرر، ويأمرها بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهاها عن الفحشاء والمنكر والبغي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم.

وأمَّا علوم المادة المحضة فإنها جافَّة لا تنهض بأصحابها إلى مَكْرُمَة، ولا تزجرهم عن منكرٍ وسوء، وإنما نفوسهم آليَّة

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان [٧-٨].

محضةٌ، أخسُّ من نفوس السباع الضَّارية، لا تسعى إلا إلى أغراضها مهما كانت، فكَمْ بَيْنَ قلب مملوء مِن الإيمان بالله ومِن الرغبة في ثوابه ورضاه والخشية من سخطه وعقابه، وأخلاقه أكملُ الأخلاق وأفضلها: قد أثَّرَ هذا الإيمان وتوابعه في تَوجُّهه وتَوْجيهه وسعيه؛ فكانت أعماله صالحة، وكان مخلصًا لله ومؤدِّيًا لحقوق عباده، يرعى العهود والأمانات، ويحترم الحقوق والمعاملات، قد اطمأنَّ كلُّ أحد في ثقته وأمانته وقيامه بما عليه مِنَ الحقوق، كم بَيْنَ هذا وبين مَن هو بضده؟

ليس في قلبه من الإيمان مثقال ذرة، ولا رغبة في الخير ولا رهبة مِن الشر، لا يرعى العهود والأمانات، ولا يطمئنُّ إلى ثقته كلُّ مَن علمه وخَبَرَ حاله، ولا عنده خشية لله تَرْدَعُه عن المحرمات والخيانات، قد هبطت به أخلاقه إلى أسفل سافلين، ثقافته وهمته مصروفة إلى تَنْمِيق بَدَنِه وشعره، وتجميل لباسه وهيئته وكلامه، وليس وراء هذا شيء إلا العار والدمار، لِمَا هو عليه من الأخلاق الهدَّامة لأحواله ولِمَن يتَّصل به، فبين هذا وهذا كما بين السماء والأرض، وهذا الفَرقُ العظيم عائدٌ إلى الاتِّصاف بالثقافة العصرية الجافَّة، أو

الثقافة الدينية التي رُوحُها الرحمة والعدل والقسط والأمانة والوفاء بالحقوق.

فأعظمُ نِعْمةٍ يُنْعِمُ الله بها على العبد أنْ يكون عنده بصيرة، يُبْصِرُ بها الأشياء على ما هي عليه، فَيَعْرِف الحق ويعمل به، ويعرف الباطل فيَدَعُه، والله هو الموفِّق وحده، ولا تَنْظُرْ إلى مَن تسمَّى بالإسلام ونَبَذَ أخلاقه وراء ظهره، وتحتجُّ به على الإسلام والمسلمين في صفته وجُمودِه وهبوط أخلاقه؛ فإنَّ الإسلام والمسلمين الحقيقيِّينَ يتبرَّءون مِمَّن هذه حاله، وإنْ تَسمَّى بالإسلام، وليس له منه إلا رَسْمُهُ.

فإنَّ الدين الإسلامي دينُ الرِّفْعة والعزة والرُّقي الصحيح، فتعاليمه وإرشاداته وأخلاقه وأعماله كلها في غاية الإحكام والانتظام، وهي الغاية في توجيه المُتَّصِفين بها إلى كل خير وصلاح وإصلاح، كما هو معروف عند كل أحد ما كان عليه المسلمون الأوَّلون من الكمال، والقيام بجميع المُقَوِّمَات الدينية والدنيوية، وبهم يُضربُ المَثَلُ في الكمال الإنساني الذي ليس له نَظِير، فمَنْ أراد أنْ يَعْرِف تأثيرات الدين الجميلة فلْيَنْظُر

إلى هؤلاء، وأمَّا مَن أراد المُكَابَرة والتغرير، فله نظرٌ غيرُ هذا، والله المستعان. والله أعلم».

المقصود هنا أن المؤلف فصَّل في ما أجملناه في أول كلمتنا في المقارنة بين أهل الحق وأهل الإلحاد، وأنا أشير إلى قضيتين زيادة على ما ذكره المؤلف:

القضية الأولى: رغبة أصحاب هذا المنهج وهذه الطريقة الفاسدة إلى جعل الأمة تشتغل بالقضايا الهامشية وإن جعلوها قضايا مصيرية، ولذلك تجدهم يسعون إلى أن يشتغل الناس بالكلام عن الكذب أو الخيال الكاذب مما يسمى بالتمثيليات والأفلام، وهكذا يفردون الكلام في الألعاب بأنواعها، سواء ما كان منها ضارًا أو ما كان ينفع قليله ويشغل كثيره، فهم يحاولون أن يشغلوا الأمة بمثل هذه الأمور، ويجعلونهم ينصرفون عن القضايا الحقيقة التي ينبغي بالأمة أن تعتني بها، من مثل الدعوة إلى الله عز وجل، وجعل الناس يتخلقون بالأخلاق الفاضلة.

القضية الثانية: وهو يقابل هذا، جعل الأمة تغفل عن قضاياها المصيرية، مما يعد خيانة في قضايا الأمة، بل قد تجدهم

يتبنون ما يخالف ذلك المنهج وتلك الطريقة الحقة، فالقضايا الإسلامية التي تكون في الناس تجدونهم يؤيدون مقالة الكافر والمبتدع، فمثلاً: في مسائل الحجاب في الدول غير المسلمة التي يريد المسلمون من يعينهم ولو بالكلمة تجدهم أكثر الناس هجومًا على أهل الإسلام بسبب الحجاب. وفي قضايا سفك الدماء التي تكون في عدد من المواطن والمحال تجدهم يغضون الطرف عن مثل هذه القضايا ولا يهتمون بها.

مثال آخر -وهو من أوضح الأمثلة في هذا الباب-: أنه من المعلوم أن بيت المقدس قد أُخذ ظلمًا وعدوانا من قِبل هذا العدو، وأن الأمة في أشد الحاجة إلى جعل أفرادها يقفون موقف المناصر مع إخوانهم هناك، لكنك تجد في كتابات هؤلاء الملحدين صد الناس عن هذه القضية، وجعلهم لا يهتمون بها، بل قد يبررون معظم التصرفات التي يقوم بها العدو، ويقارنون بين تصرفاتهم وتصرفات الظلمة، من أجل تسويغ تلك التصرفات، ومن أجل صرف الناس عن النظر في هذه القضية العظيمة التي هي من أهم قضايا الأمة، بل هناك

دعوات واضحة من أصحاب هذا المنهج لإغفال هذه القضية، بل في مرات يدعون إلى مناصرة العدو، وتفاصيل ذلك يعرفه من يباشر تصرفات أصحاب هذا المنهج الباطل الإلحادي والكتابات التي يكتبونها، سواء في مؤلفات أو في صحف ومجلات.

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

سادساً: أسباب موجات الإلحاد وآثارها

أتكلَّم بإذن الله عن مَوجَات الإلحاد التي تعرَّضت لها نُفُوس بعض أبناء الـمُسْلِمين، هذه المَوْجَات جَعَلتِ البعضَ لا يهتدي بهَدْيِ القرآن، ولا يَسْتَفيد منَ الوَحِي، ولا تَنْعَكِس الآثار الإلهيَّةِ على حياة بعض أبناء المسلمين أو غيرهم، هذه الموجات الإلحادية -كما تقدم- ليست خاصَّةً بزماننا الحاضر، بل وُجِدَت منَ العصور الأولى. وهي مِن فضل الله عز وجل يسيرة في حياة الأمة لكنها مؤلمة.

وتقديرُ الله عزَّ وجلَّ للأمة بوجود مِثْل هذه المَوْجَات له آثارٌ سلبيَّة، لكِنْ له آثارٌ حميدة أيضًا، فمِنْ تلك الآثار الحميدة: تحريك جَذْوَة الإيمان في قلوب المؤمنين، بمشاهدتهم لِمَا يُضَادُّ الفطرة الصحيحة.

ومِنْ ذلك أيضًا: تحرُّك علماء الشريعة مِن أجل بيان أحكامها، مِن أجل إقناع النفوس بها، ومِن أجل جعل حِكَمِ الشريعة في أحكامها واضحة أمام الأَعْيُن، ويتحقق بذلك المُدَافعة الشرعية بين أهل الحق وأهل الباطل، وهو نوعٌ مِن أنواع الجهاد الشرعي، ونوع مِن أنواع نشر العلم.

فَوُجُود مثلِ هذه الموجات قد يترتَّب عليها آثار طيبة، ويترتب عليها آثار سيئة، ولعلنا نُفْرِد الكلام عَنِ الآثار السيئة فيما يأتي.

لكن مِنَ الأمور المهمَّة لمعالجة مثل هذه الظاهرة: أنْ نَعْرِف الأسباب التي أدَّتْ إلى وجود مثل هذه الموجات، لكنَّهَا مؤلمة، فأوَّل هذه الأسباب: الجَهْل؛ فيُوجَد بعض الناس يَجْهَلون أحكام الشريعة وحِكَمِها، فيُؤَدِّي بهم إلى إنكار ما يجهلونه، فقد لا يَعْرِفون بعض المعاني الشرعية التي مِن أجلها قرَّرَت الشريعة بعضَ الأحكام، فيُنْكِرون الأحكام لعدم معرفتهم بمعانيها، وقد أشار الله عز وجل إلى أمثال هذا الصِّنْفِ بمثل قوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ**﴾(١).

ويَبْرُزُ هذا في بعض المتخصِّصين في غير علوم الشريعة، كالمُتخصصين في العلوم الطبيعية، أو الطبيَّة أو غير ذلك، فتخصَّصاتُهُم تلك قد تَجْعَلُهُم يُنْكِرُون ما يَجْهَلونه،

---

(١) سورة يونس، الآية [٣٩].

ويُشَكِّكُون في ما لا يَعْرِفونه؛ فإنَّ مَن حاز فنًّا مِنَ الفنون قد يَظُنُّ أنَّ العلم مُنحصِرٌ في ذلك الفن، مع أنَّ النظرة العقلية تجعل المُتخصِّص في علم مِنَ العلوم يعرف نقص الآخرين الذين لم يتخصصوا في فنِّه، فإذا تكلَّم غيرُ الطبيب في الطبِّ، فإنَّ الطبيب ينتَقِدُ مثل ذلك الكلام، ويعْرِفُ العَوَارَ الكبير فيه، مِمّا قد يجعل العقلاء من الأطباء لا يُقْدِمون على الكلام في غير فَنِّهم، لئلَّا يُنْظَرَ إليهم كنظرتهم لغير الأطباء عندما يتكلمون في تخصصاتهم.

وهذا يُظْهِر لنا السبب الثاني مِن أسباب هذه الموجات:

أَلَا وهو الإعجاب مِن قِبَلِ هؤلاء بعلومهم، فقد يكون عندهم علوم، وعندهم فنون، فيُعْجَبُون بها، ويَظُنون أنَّ العلم المفيد مُنحَصِرٌ في علومهم، سواء كان ذلك مِنَ المتخصصين في علوم غير الشريعة، أو كان مِنَ الدارسين للفلسفة عند بعض الأمم، فيعجبون بما لديهم من فلسفة، ويغْفَلُون عنِ التفسير الشرعي لتلك القضايا الفلسفية. والفلسفة يُراد بها النظرة للخالق والكون والإنسان، فلسفة كل أمة هي نظرة تلك الأمة للخالق وللكون وللإنسان.

السبب الثالث: التكبُّر عنِ الحق والترفّع عليه؛ فإنْ تَكبُّر الإنسان عن الحق ومصادره يَجْعَلُه يقع في زلَلٍ كبير، ومن ذلك الإلحاد، تجدُ أنّ بعض هؤلاء الملاحدة يتكبَّر على القرآن، وعلى الاهتداء به، وعلى النظر فيه؛ فيقع في ضلال كبير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[١].

السبب الرابع: تقليدُ أئمتهم وكُبَرائهم الضالين، فبعض الناس يجد أنَّ مَنْ يقدسُهُ ويُمجِّدُهُ يسير على بعض هذه الطرائق الإلحادية، فيسير على طريقته، بدون أن يتفكّر فيها، وبدون أن يعرضها على النصوص الشرعية، وهم يوم القيامة سيتبرؤون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة غافر، الآية [٥٦].

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان [٦٧-٦٨].

أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(١).

السبب الخامس: الإعراض عما جاءت به الكُتُبُ الإلهية والرسل، فإنك تجد بعضَ هؤلاء الملاحدة يُعْرِض عن القرآن، لا يستفيد منه، ولا يهتدي بهداه، ولا يقرأ فيه، ولا يُقارِن ما لديه من قناعات بما في القرآن، ولا يَحْكُمُ بالأحكام القرآنية على قَنَاعاته، وتجد الواحد منهم لم يستمع للقرآن استماعَ متدبِّر مُتفكِّر فيه، بل قد يُقَدِّمُ في القراءة كتبَ بعض الغربيين من الفلاسفة الملاحدة، وقد يُعِيدُ القراءة في شيء منها مرات، وتجده يقرأ العديد من كتب ملاحدة الغرب، وهو لم يستمع لآيات القرآن، ولم يقرأ في السيرة النبوية، ولا في الأحاديث،

---

(١) سورة البقرة، الآيات [١٦٥ – ١٦٧].

وقد جاءت النصوص بذمِّ أولئك الذين يعرضون عن الوحي، قال تعالى: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[(٢)].

٦) أيضًا مِن أسباب الإلحاد عند بعض الناس: ضعف القدرة على التمييز بين الأقوال؛ بحيث تَنْطَلِي عليه أدنى شبهة، ولا يستطيع المقارنة بين الأقوال المتقابلة؛ فإنَّ بعض الناس لا توجد لديه الأهْلِيَّة التي يتمكَّن بها مِنَ الموازنة بين الأقوال، فيؤدِّي به ذلك إلى تشرُّب بعض الآراء الإلحادية، ومِنْ ثمَّ كان مِن أسباب الإلحاد عند بعض الناس عدم القدرة على الموازنة الصحيحة.

كذلك مِنَ الأسباب المؤدِّية إلى تبنِّي الأفكار الإلحادية: هو الالتفات إلى الأسباب الطبيعية وإغفال مسبِّبِ الأسباب جل وعلا، فإنَّهم ينظرون إلى الظواهر الطبيعية ويحكُمُون بها،

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١٥٧].

(٢) سورة السجدة، الآية [٢٢].

ويُغْفِلُون النظر إلى ربِّ العزَّة والجلال الذي يُسبِّبُ هذه الأسباب، وهو الذي يجعل الأسباب تَنْتُجُ آثارها، والعاقل يجدُ أنَّ بعض هذه الأسباب يُنْتِج آثاره، وأنَّ بعضها لا يُنْتِجُ.

يأتي اثنان ويسيران في شارع واحد، فيُقَدِّر الله عز وجل على أحدهما حادثًا يموت فيه، والآخر لا يُقَدِّر عليه مثل ذلك، لماذا لَمْ يتأذَّى الاثنان؟ هذا تقدير رب العزة والجلال، مُسَبِّبِ الأسباب، يقع حريق في مصنعين، أسباب الحريق واحدة، ثم بعد ذلك يُقَدِّرُ الله عز وجل على أحد المصنعين الاحتراق بالكلية، والآخر يُخْمِدُ الله عز وجل الحريق، لماذا وُجِدَ السبب في الواقعتين واختلف الأثر؟ تقدير مُسبِّبِ الأسباب جل وعلا.

كذلك مِنَ الأسباب المؤدِّيَة إلى هذه النظرات الإلحادية:

الاقتصار في التفكير على الدنيا، وجعل الهدف الذي يَسْعَوْن إليه هو تحصيل المصالح الدنيوية، وإغْفال قصد الآخرة في الأعمال التي تؤدَّى، فالإيمان بالآخرة يُسْلَمُ الإنسان به من هذه الموجات الإلحادية.

ولعلَّنَا بإذن الله عز وجل نتكلم عن بعض الحُجَجِ التي يتبنَّاها هؤلاء الملاحدة، وقد يُؤثِّرون بها على نفوس كثير من الناس؛ فإنَّ الملاحدة يقصدون محاربة جميع الأديان بلا استثناء، ومِنْ ثَمّ عندهم وسائل يجعلون الناس يَنْفِرُون من هذه الأديان.

* * * * *

سابعاً: أصول شبهات الإلحاد

مِن الأمور التي جعلت بعض الناس تَنْطَلِي عليه خُدع الملاحدة ما يأتي:

١) يطالب الملاحدة من الناظر في أيٍّ قضية أنْ يَبْتَدِئَ بالشك، ويجعلون الشك هو أصل العلوم، وأنه لا يُمْكِن أن يتوصَّل الإنسان للحق إلا بالشك، ويقولون: لا يكون الإنسان متجرِّدًا عند النظر في القضايا إلا إذا ابتدأ بالشك، وهذه مقالة مخالفة للفطرة ولما يستقر في النفوس، والبحث في هذه المسألة له أصل عند العلماء، ومِنَ القواعد أو مِنَ المسائل التي يذكرها علماء الشريعة مسألة: أولُ الواجب على المكلَّفِ، فإن هناك مِنَ المعتزلة مَنْ يرى أنَّ أول واجب على المكلَّف: الشك، وبعضهم يقول: النظر، وبعضهم يقول: قصد النظر.

والصواب: أنَّ أول واجب على المكلَّف هو الشهادتان؛ ولذلك كان النبي ﷺ إذا أَرْسَلَ رُسُلَهُ طلب منهم أنْ يأمروا الناس بالتوحيد، كما في حديث ابن عباس في «الصحيحين» أنَّ

النبي ﷺ لَمَّا بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، قال: **(إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ)**[1]، ولم يقل: الشك، ولا النظر، ولا قصد النظر.

إذا أخلى الإنسان قلبَهُ من المعتقدات الصحيحة، وزرع الشك في نفسه وقع في ضلال كبير.

كيف نَرُدُّ على دعوة هؤلاء إلى أن يكون الشك هو مبدأ العلم؟

الجواب عن هذه الشبهة من أوجه متعدِّدَة، يمكن أنْ نَذْكُرَ نماذج منها:

الجواب الأول: أنَّ مُقتَضَى هذه الدعوة المبنية على الابتداء بالشك أنْ يمحو الإنسان ما لديه من علم نافع، وينتقل مِنَ المعرفة الصحيحة إلى الجهالة، وليس مِنَ العقل أن تُلْغِي ما لديك من علم.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة- باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١٤٥٨)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والجواب الثاني: أنَّ هذه الدعوة فيها منافاة لما فَطَرَ الله عز وجل عليه النفوس؛ فإنَّ النفوس مفطورةٌ على الحق، كما قال النبي ﷺ: **(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ)**[1] وقد قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2].

الجواب الثالث: أنْ يقال: بأنه ليس مما يَشْرُف به العلم أن يقُدّمَ الشك والجهالة عليه، فليس هناك فضيلة للعلم بأنه قد تقدَّمَهُ الجهل والشك، هل سمعتم أحدًا يثني على أحد؛ لأنه كان جاهلًا فعَلِمَ؟! وإنما يثني عليه في العلم، أما الشك فليس مَحَلًّا للثناء.

وتُلَاحِظون أمرًا آخر يمكن أن يكون جوابًا عن كلامهم: بأنه يوجد فرقٌ بين الشك والجهل؛ فالجهل عدم المعرفة بالشيء، ولكنَّ الشك هو التردد في الإدراك بين شيئين، قد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر- باب معنى: **(كل مولود يولد على الفطرة)** وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٦٥٨).

(٢) سورة الروم، الآية [٣٠].

تقول: بأنني لا أعلم ماذا يكون وراء الجدار؟ هذا جهل، لكنْ لَمَّا خرجت مع الباب قلتَ: رأيت سيارة. هل من المعقول أن تقول أوَّلًا: سأشك، وبالتالي أقول: يُحْتَمَلُ أنْ تكون سيارة، ويحتمل أنْ تكون طيرًا، ويحتمل أن تكون حذاءً، هذا ليس من العقل في شيء. عندما كنت جاهلًا قبل خروجك من الباب بما يكون وراء الجدار، فهذا ليس مِمَّا يُعابُ به الإنسان، ولكن تردد الإنسان في الإدراك بشيء يتمكن من العلم به والإحاطة به. هذا نقص في العقل!

جوابٌ آخر: أنَّ المعرفة والعلم بالأشياء لا بد أن يكون لها أساس متيقَّن، والعلوم ينبني بعضها على بعضها الآخر، فَتَتَيَقَّنُ بالمعلومة الأولى ثم تبني عليها المعلومة الثانية، أما الشك فإنه لا يصح أنْ تجعله أساسًا للتعلّم.

جوابٌ آخر: أنَّ العلوم التي لدى الإنسان، التي يدركها ويتيقنها لا يمكن أن تمحوَها بالشك، فأنت تتيقَّن مِن شيء وتجزم به وتعلمه، فكيف يقال لك: ابدأ أولًا بالشك فيما تعرفه وتتيقنه؟!

جوابٌ آخر: أنَّ هؤلاء الذين يقولون: ابتدأ بالشك متناقضون؛ لأنهم يقولون: شُكَّ في مقتضى النصوص ودلالتها، لكِنْ عندما يُورِدُون قولَ كبارهم من الملاحدة يقولون: هؤلاء أصحاب العقل، ولابُدَّ أن تتقبل ما جاء منهم، فلماذا يتعاملون بمِعْيَارَين؟ عندما تأتي أقوال كبارهم يقولون: نقبلها؛ هؤلاء هم أهل العقل، وأهل المعرفة والإدراك، ولا تشك فيها، وقد تجدهم يتناقلون هذه الأقوال، ويسلِّمُون بها مع ما فيها مِنَ الباطل الكثير! وإذا جاءت الأدلة مِنَ الكتاب والسنة قالوا: لا بد أنْ نَنْظُر إليها نظرة الشك أوَّلًا.

ثُمَّ إِنَّ الشك ليس أمرًا محمودًا، بل الشك هذا حَيْرَة وضلال. فكيف نبتدئ العلم بما هو مذموم وهو الشك؟! واسمع لقول الله عز وجل: **﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾**، **﴿حَيۡرَانَ﴾** هذا هو الشك **﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ**

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. ولذلك؛ فإنَّ الشك مذموم، فكيف يُجْعَلُ أساسَ العلوم؟! بل ويقال: مَن لَمْ يُقَدِّمِ الشك فلا تثقْ في علمه - كما يقولون -.

٢) شبهة أخرى عند الملاحدة - أشار إليها المؤلِّف رحمه الله- وهي أنهم يقولون: بأنَّ اليقين لا يكون إلا في المحسوسات، فلا تتيقن إلا فيما يقع حسُّك عليه؛ إما أنْ تُشَاهده أو تسمعه أو نحو ذلك، ولذلك يقولون: لا يكون الإيمان إلا بالماديَّات دون الغيبيات. وهذا من أكبر أسباب ضلال القوم، وقد يَنْخَدِعُ بهم بعض الناس ويقول: ما لم أره ولم أسمعه فإنني أَتَوَقَّفُ في الإيمان به.

ومثل هذه الدعوة دعوة باطلة، يمكن إبطالها بالعديد من الوجوه:

أولُ ذلك: أنَّ الحِسَّ يعجز عن الإدراك في كل شيء، لا يمكن أنْ يَقَعَ حسك على جميع المعلومات. هل شاهدتَ ما

---

(١) سورة الأنعام، الآية [٧١].

تحت البحار؟ وهل وقع حسك على الوقائع والحوادث التي تقع في العالم أجمع؟ الجواب: مَنْ منكم يقول: بأنَّ حواسِّي قد وقعتْ على جميع الوقائع، أو شاهدتْ وأدركتْ جميع الوقائع في العالم. لا يمكن أن يدعي أحد أنه أدرك جميع الوقائع بحواسه، ثُمَّ إنَّ جميع الباحثين يعملون البحوث والتجارب لإدراك غير المحسوسات، فَتَطَلُّبُ العلم لغير المحسوسات لا زال يسير عليه العقلاء في جميع الفنون. فالقول بأن العلم لا يحصل إلا بالإحساس هذا من الجهل؛ لأن من الجهل النفي بتحصيل العلم بالوسائل الأخرى غير الحسية التي يصح أنْ تكون وسائلَ للعلم.

الجواب الثاني: أنَّ الناس قاطبة - سواء العقلاء أو غيرهم - يستفيدون العلم مِنْ غير الإحساس، وانظر مثلًا: لاستفادة الناس العلم بواسطة الأخبار، واستفادة الناس العلم بواسطة الاستنتاج والمعقول بدون أنْ يكون هناك إدراك بواسطة الحس؛ إذ إن هناك العديد من الوقائع التي تتيقّنها بناء على وجود الخبر، يقول لك فلان: حَصَلَتِ الواقعة الفلانية، ثُمَّ يخبرك الثاني والثالث عن تلك الواقعة حتى يتواتر الخبر فتجزم به من غير أن تدركه بحواسك، هل تُصَدِّقُون بوقوع تلك

الواقعة التي أخبرك عنها مائة؟ الجواب: تصدِّقون، هل شاهدتموها؟ هل أحسستموها؟ الجواب: لا، إنما سمعتم الخبر. إذن العلم لا ينحصر في المحسوسات.

ومثله أيضًا في المعقولات: تتأمَّلُ يا أيها الإنسان وتتدبَّر في بعض القضايا فتعرف خلفياتها، وقد تعرف النتائج التي يمكن أن تترتَّب عليها، بدون أن يكون هناك إحساس.

ثُمَّ إنَّ الغائبات التي يحصل بها جزم ويقين كثيرة ولو لم يكن فيها إحساس، فهكذا الغيبيات إذا أخبرنا الله بجنة ونار، وأخبرنا بعذاب القبر صدقنا وجزمنا مع أن هذه غيبيات. يقولون: لم يُدْرِكْها الحس فنُنْكِرُها. فنقول لهم: الغائبات في زمانكم كثيرة لا يدركها حسكم، ومع ذلك لا تنكرونها، بل تجزمون بها، فعامِلِ الغيبيات مُعاملةَ الغائبات.

كذلك مِن أَوْجُه الرد على هذه الدعوة الباطلة أنْ يُقال: بأن المحسوسات لا تتهذَّب بها النفوس، ولا تصلح بها الأخلاق، ولو كان العلم والمعرفة ينحصر على المحسوسات: لكان العلم والمعرفة لا يؤثر على النفوس بتهذيبها واستقامتها وتخلّقِها بالأخلاق الفاضلة، لكن إذا كان هناك إيمانٌ بغير

المحسوسات؛ كما لو وجد إيمان بجنة، وإيمان بنار، وإيمان بعقوبة الله عز وجل لِمَن خالف الأخلاق الفاضلة، هذا هو الذي يؤدِّي إلى جعل الناس يتأدَّبون بالخلق الفاضل، أما لو سِرْنَا على كلام هؤلاء، أنه لا يحصل الإيمان إلا بالمحسوس، ولا تقع معرفة ولا علم إلا بالمحسوس؛ لتمرَّدَتِ النفوس، ولم يَحْصُلُ لها تهذيب ولا خُلُقٌ فاضل.

وأكثر هؤلاء الملاحدة يَنْسِبُون الوقائع إلى الطبيعة؛ فيقال لهم: هذه الطبيعة هل هي محسوسة؟ يقولون: وقعت هذه الحوادث العظيمة مِنَ الزلازل والفيضانات ونحوها بسبب الطبيعة. فيقال لهم: هذه الطبيعة التي تَنْسِبُون إليها الوقائع، هل هي محسوسة؟ فكيف تَنْفُون تحصيل العلوم والمعارف غير المحسوسات في القضايا الغيبية والإيمانية، ثم تُنَاقِضُون أنفسكم فيما يتعلَّق بالطبيعة.

٣) مِنَ الشبهات التي يُرَوِّجُون على الناس بها باطلهم:
أنَّ كبار العقلاء والفلاسفة العظام يسيرون على الطرائق الإلحادية، فقد يأتون بفلاسفة متقدمين، كأَرِسْطُو وأَفْلَاطُون،

وقد يأتون بفلاسفة متأخرين مثل دِيكَارْت وفلان وفلان، ويجعلون تلك الأقوال الواردة عن هؤلاء الفلاسفة هي المعيار الذي يَزِنُون به العلوم، ويَزِنُون به جميع ما يَرِدُ إليهم من الأقوال والآراء، ومثل هذه الطريقة التي جَعَلت بعض الناس يزيغ عن الحق طريقة باطلة، ويدل على بُطْلَانها العديد من البراهين والحجج.

وأولُّ ذلك أنَّ هذه الطريقة مبنية على التقليد الأعمى لهؤلاء الفلاسفة، مع عدم إعمال الموازين العلمية على ما يَطْرَحُونه من اعتقادات وآراء، فبَدَل أَنْ تُجْعَل آراء هؤلاء الفلاسفة هي المعيار في العلوم، يَنْبَغِي أَنْ نَزِنَ تلك الأقوال المنقولة عن هؤلاء الفلاسفة، ونَنْظُرَ: هل هي أقوال صحيحة أو أقوال باطلة؟ ومِنْ ثَمَّ؛ غاية هؤلاء الملاحدة التقليد الأعمى، وعدم تفكير الواحد منهم فيما ينقل عن هؤلاء الفلاسفة، وعدم عرضها على الأدلة الصحيحة.

الجواب الآخر: أنَّ هؤلاء الفلاسفة - سواء تقدَّمت أزمنتهم أو تأخَّرت - يعترفون بأنهم لا يحصِّلون اليقين في

المطالب الإلهية، وأنَّ غاية ما لديهم الحَيْرَة والشك، فحينئذ هذا الشاك في هذه المطالب العظيمة كيف يُقَدَّمُ قوله، وكيف يُجْعَلُ دليلًا وحجَّةً ومِعْيارًا تُرَدُّ به النصوص، أو تُرَدُّ به أقوال المُحققِّين من علماء الإسلام ونحوهم؟!

الأمر الثالث: أنَّ هؤلاء الفلاسفة ضعفاء في مطالب العلم الإلهي، فليس عندهم اختصاص بهذا العلم ولا تحقيق، ومِنْ ثَمَّ: كيف يُجْعَل هؤلاء الفلاسفة أئمةً يُقْتَدَى بهم فيما هم فيه ضعفاء، إذا جاءنا طبيب وتَمَهَّرَ في الطب، ليس معناه أنه يُدْرِكُ حقيقة المطالب في العلم الإلهي.

الجواب الرابع: أنَّ هؤلاء الفلاسفة بينهم مِنَ الاختلاف الشيء الكثير، وعندهم مِنَ التنازع والشِّقاق ما الله به عليم، بل إنَّ الواحد منهم يوجد عِنده تَناقضٌ في العديد مِنَ القضايا الإلِهَيِّة والغيبية؛ مرَّة يقول بشيء ومرَّة يقولُ بضده، فكيف يُجْعَلُ هؤلاء المتناقضون المختلفون المتنازعون مِعْيارًا على النصوص، ومعيارًا على الفقه الإنساني؟!

ومِنَ الجواب عن هذه الشبهة أنْ يُقَالَ لهم: انظروا لمسألة مهمة، وهي مسألة مَوْقِفِ هؤلاء الملاحدة مِنَ الأخلاق، تجد أنَّهُم لا يُعَوِّلُون على الأخلاق، وقد يَجْعَلُون الأخلاق نسبيَّةً، ويقولون: «يكون أحد الأفعال خُلُقًا فاضلًا في بلد، لكنَّهُ خلقٌ ردِيءٌ في بلد آخر، مما يدلُّكَ على عدم صلاحية جعل أقوال هؤلاء الفلاسفة والملاحدة معيارًا لأبواب العلوم، فبناء على ذلك يقال لهم: قد تكون أقوال هؤلاء صالحة في بلدانهم، أو أزمانهم بناء على قولهم بالنسبية في الحق».

٤) كذلك مِنَ الحُجَجِ التي يُرَوِّجون بها باطلهم الإلحادي: أن يتَّهِمُوا مَن يُحَكِّمُ النصوص الشرعية بالرجعية، فيقولون: هذا يَأْخُذُ مما ورد في الأزمنة الغابرة، وبالتالي هو يريد أن يُرْجِعَنَا إلى الماضي، هكذا يقولون. وهذه حجة باطلة لأمور كثيرة، أشهرها أمران:

الأمر الأول: أنَّ رجعية هؤلاء أكثر؛ لأنَّك تجد أنَّهم يعودون بالناس إلى أَرِسْطُو وأَفْلَاطُون، فكيف يَعِيبُون على أهل الحق الرجوع إلى النصوص بدَعْوَى أنها قديمة، وهم

يرجعون إلى أقوال هؤلاء الملاحدة الذين بيننا وبينهم عشرات القرون؟! فحينئذ نقول: هؤلاء الملاحدة عندهم مِنَ الرجعيَّةِ أكثر مِمَّا عند أهل الوحي والحق.

والجواب الآخر أن يُقالَ: بأنَّ الحق ليس متوقِّفًا على زمان دون زمان، فليس الحق هو القول الناتج في زماننا، قد يكون هناك حقٌّ نَتَجَ أو عُرِفَ قبل أزمنة، ويكون ما عُرِفَ في زماننا الحاضر باطل أو ضلال. لو قُدِّرَ أنَّ عبادة الشيطان لم توجد إلا في زماننا الحاضر، فحينئذ هل نقول: هذا رأيٌّ واعتقاد حادث في زماننا، وبالتالي له تقدير، لكنَّ الآراء الأخرى التي تأتي بعبادة الرحمن هي آراء قديمة رجعيَّة. هذا غير مقبول، بل نقول: ليس المعيار في كون القول حقًّا أو باطلًا هو تقدُّم القول به في الزمان، بل قد يُتَبَنَّى عكسُ ذلك بأنْ يُقالَ: القول الذي ثبت في الأزمنة الغابرة، واتَّفقتْ عليه الأمم أو أكثر الأمم وسارت عليه، قد يكون له مِنَ القَبُول ومِنَ القُرْبِ من الحق، أكْثَرَ من قولٍ ناتجٍ في زماننا لمْ يَقُلْ به إلا شُذَّاذ.

٥) مِنَ الشبهات التي يُروِّجون بها باطلهم أنْ يقول القائل منهم: ما لديكم مِنَ العلم لم يُنْتِج لنا المخترعات، ولم يتمكَّن به الناس مِنَ الوصول إلى القمر، وبالتالي فهذا العلم الذي لَمْ يجعلْنا نعرف الجوَّالات، ولَمْ يُمَكِّنَّا من إدراك ما في الكون: هذا علم غير مقبول؛ لأننا لَمْ نستفِدْ به هذه المخترعات.

وهذه الشبهة قد تنطلي على بعض أصحاب العقول الضعيفة، والجواب عن هذا من أوجه متعددة:

أول هذه الأوجه أنْ يُقَال: بأنَّ أهمية علم ووجود أثار حميدة له لا تعني التقليل من العلوم الأخرى؛ فلو قال قائل: علم الطب نستفيد منه فوائد عظيمة، وبالتالي يكون علم الهندسة علمًا باطلًا. هل يُقْبَلُ هذا؟ لو قلنا بمثل هذا فسد الكون. فكون أحد العلوم أدَّى إلى اكتشاف المخترعات لا يعني القدح في العلم الآخر الذي له آثار حميدة في أبواب أخرى.

والجواب الثاني أَنْ يُقالَ: إنَّ العبرة في صحة العلوم أو في أهميتها هو الاهتمام بالقضايا الأساسية التي للإنسان. هذه المخترعات أمور طيِّبة ووسائل حميدة، لكنَّها ليست هي

المقاصد الأساسية، فأنت يا أيها العبد لم تُخْلَقْ من أجل أن تستعمل هذه المخترعات، ليس هذا السبب في وجودك في الكون، فكوننا نقدح في العلم المهتم بالقضايا الأساسية التي من أجلها أوجد الإنسان؛ بكون هذا العلم لمْ يُنْتِجْ إحدى الوسائل التي يستفيد منها الإنسان. هذا قدح باطل لا قيمة له، بل هو قدحٌ يدل على نقص عقل القائل به.

جوابٌ آخر أنْ يُقالَ: هذه المخترعات هي وسائل قد استخدمها البعض في الخير، واستخدمها آخرون في الشر، وحينئذٍ إذا قارَنَّا بين العلم الصحيح المهتم بالقضايا الأساسية الذي يُنْتِجِ الخير، وبين هذه الوسائل التي يمكن استخدامها في الخير والشر. ماذا تكون النتيجة؟ تقديم العلم النافع المتعلق بالقضايا الأساسية على تلك الوسائل التي يمكن استثمارها في خير أو في شر، ثم هذه المخترعات وسائل، وتلك العلوم مقاصد. فكيف يُقْدَحُ في المقصد بالوسيلة المؤدِّية إليه؟!

ويُمْكِنُ أَنْ يُجابَ بِجوابٍ آخر بِأَنْ يُقالَ: إذا وُجِدَ مَنْ يتفوَّق في باب لا يعني أنه يتفوق في جميع الأبواب، لو عندنا طالبٌ يأخذ في الرياضيات مائة من مائة. هل معناه أنَّه يأخذ في

الأحياء مائة في المائة؟ قد يَرْسُبُ، فإذا وُجِدَ مَنْ يتفوَّق في باب المخترعات لا يعني أنه يتفوَّق في بقية أنواع العلوم، ومنها العلوم الغيبية والشرعية، وبالتالي لا يصحُّ أن نقدح في علوم المطالب الإلهية بوجود المخترعات.

٦) كذلك مِنَ الحجج التي قد يحتجُّون بها ويصرفون الناس عَنِ الحق بسببها أَنَّهم يقولون: بأنَّ المسلمين ضعفاء، وأنَّ أعداء المسلمين قد تمكَّنوا منهم، ممَّا يدل على أنَّ المنهج الذي يسير عليه المسلمون منهج خاطئ، وإِلَّا لكانت القوة والغَلَبَة لهم.

هذا المنطق هو منطق أهلِ الغَابة، الظالم هو المُحِقُّ؛ لأنه يتمكَّن من الظلم، هل هذا مقبول؟ ليس مقبولًا. فالقدرة والتمكُّن من الآخرين ليست دليلًا على أن ذلك المتمكِّن صاحبُ الحق، ثمَّ إنَّ ضعفَ المسلمين وتمكُّن عدوهم منهم هو بسبب تركهم لدينهم. فكيف يُدْعَى إلى ترك الدين لسبب ناتج عن ترك الدين؟! كيف يُدْعَى إلى ترك دين الله بسبب ضعف المسلمين الناتج من تركهم لدينهم؟! فَإِنَّ الله عز وجل قد أخبر بأَنَّ مَنْ تمسَّكَ بدينه فإنه يتمكَّن من عدوه وينتصر عليه، وأخبر

أَنَّهُ لا يقع الضعف في هذه الأمة إلا بسبب بُعدِهِم عن دينهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[2]، لكِنِ الشرط تحقيق الإيمان والعمل به كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[3] مَن نصر دين الله نصره الله، وبالتالي؛ فإنَّ عدم النصر هو ناتجٌ وأثرٌ من آثار ترك التمسُّك بهذا الدين، ويدل على هذا مثل قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[4] والشواهد التاريخية تدلُّ على هذا الباب في جميع العصور.

النبي ﷺ في الهجرة يخرج من مكة طريدًا شريدًا، يُجْعَلُ لِمَنْ يأتي به مائة ناقة، بعد ثماني سنوات مِن تلك الواقعة

---

(١) سورة محمد، الآية [٧].

(٢) سورة غافر، الآية [٥١].

(٣) سورة الحج، الآية [٤٠].

(٤) سورة الشورى، الآية [٣٠].

يعود إلى أهل مكة، يَترَجوْنَه أنْ يعفُوَ عنهم، تمسَّكَ بدين الله فنصرَهُ الله، في سنوات قليلة جعل الله عز وجل هذه الجزيرة تحت إِمْرَتِهِ ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم مع تَكَالُبِ الأمم عليهم؛ إلَّا أنَّ الله عز وجل قد نصرهم لما تمسكوا بدينهم، ووصلت جيوشهم مشارق الأرض ومغاربها، فلمَّا ضَعُفَ تمسُّكُ المسلمين بدينهم ضعف حالهم وذهبت قوتهم، ومبدأُ ذلك الأمور القلبية، عندما ضَعُفَ الخوف من الله، وضعُفتْ مراقبة الله في النفوس، وضعف التوكُّل على الله؛ تَمَكَّن منهم عدوُّهم، وكلَّمَا عادت جَذْوَةُ الإيمان إلى الأمَّة انتصرت على أعدائها، حتى في عصرنا الحاضر ونشاهد هذا واضحًا جليًّا.

ومِنْ هنا؛ فإنَّ ضعف المسلمين ليس ناتجًا عن التمسُّك بالإسلام، وإنما نَتَجَ عن ضعف تمسكهم بالإسلام، فانظر كيف قَلَبَ هؤلاء الملاحدة المُعَادلة؛ إمَّا لسوء فَهْمِهم وعدم معرفتهم، أو لسوء مقصدهم.

كذلك قد يحتَجُّ بعضهم على مَوْجَة الإلحاد عنده بأن المسلمين ضعفاء، ويَنْسِب ذلك الضَّعْفَ إلى دِينهم الذي

يَنتسبون إليه، ويُجَابُ بأن الضَّعْفَ عند المسلمين ليس ناتجًا عن التمسُّك بدينهم، بل إنما ضَعُفوا عندما ضَعُفَ التمسُّك عندهم بدين الله، ولو تمسَّكوا بدين الله لنَصَرَهم الله وقوَّاهم وأعزَّهم، وكما تقدَّم أن القوة عند إنسان لا تَعنِي أنه على الحق، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1]، وقال جلَّ وعلا: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[2].

٧) **يقول القائل منهم:** بأننا نريد الترقي بالبشرية، ولا يكون ذلك إلا بِنَبْذِ هذه العلوم الواردة في الخطاب التاريخي المنسوب إلى الإسلام، وبالتالي لا بد أَنْ نأخُذَ بخطاب الملاحدة لتترقَّى الأمة. ومثله أيضًا يقول بعضهم: إِنَّنَا نريد التطور وإصلاح الأمة، ومثل هذا الخطاب يزرع النزاع والشقاق أي: الخطاب الإسلامي.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان [٥٥-٥٦].

(٢) سورة آل عمران، الآيتان [١٩٦-١٩٧].

والجواب عَنْ هذا مُمْكِنٌ أَنْ يستفاد مِمَّا سبق فيُقَال: بِأَنَّ الناظر في طرائق هؤلاء الملاحدة يَعْرِفُ أَنَّ طريقتهم لا يحصل بها الترقي في الأخلاق، وأنَّ طريقتهم لا تَرْدَعُ النفوس عن ظلم بعضهم لبعض، وأَنَّ طريقتهم لا تعصم النفوس من الاعتداء على الحقوق العامة والفساد الإداري؛ ولذا نجدُ سوءَ أخلاق بعض هؤلاء الملاحدة واضحًا جليًا، وكلَّمَا ابتعد الناس عن دينهم حصل عندهم مِنَ التَرَدِّي في الأخلاق، واستغلال بعضهم لبعض، وظهور المقاصد والأغراض الشخصية ما الله به عليم، بخلاف ما إذا عاد الناس إلى دينهم، وأصبحوا يخافون مِنَ الله، ويرجون الدار الآخرة؛ فإنَّهُم حينئذ يُعِينُ بعضهم بعضًا، ويُحْسِنُ بعضهم إلى بعض، ويَحْصُلُ عندهم الشيء الكثير من الأخلاق الحميدة.

٨) **يقولون:** أنتم ضِدُّ الدِّيمُقْرَاطِيَّة، وطريقتكم ودينكم مضادَّةٌ للحريَّة، وبالتالي فلا نقبل ما لديكم، وعليكم أن تقبلوا ما لدينا، هذه شبهة مِنْ شُبَهِهِم. وإذا سُئِلوا عن هذا المصطلح (الديمقراطية) تَبَايَنَتْ أقوالُهم واختلفت تفسيراتهم لهذا اللفظ، ما بين مُشَرِّق ومُغَرِّب، وطائفة منهم يقولون بأن

المُرَادَ بهذا المصطلح -الديمقراطية- حُكْمُ الإنسان لنفسه، أو حُكْم الشَّعْب للشَّعْبِ، أو نحو ذلك، وعند التطبيق نَجِدُهم يريدون بهذا المصطلح إِرْغَامَ الآخرين وإِكراههم وإلزامهم بطرائقهم الفاسدة، بحيث مَن سار على طريقتهم ورَضِيَ بمبادئهم وأُصُولِهم أقرُّوه، ومَن خالَفها تسلَّطوا عليه بأنواع العذاب، فَهُم لا يُطبِّقون هذا المعنى الذي يدعون، مع فساده، فإنَّ الحكم لله، كما قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2]، وقد جاءت النصوص بالتحذير من الاغترار بالأكْثَرِيَّة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[3]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ

---

(١) سورة الأنعام، الآية [٥٧].

(٢) سورة النساء، الآية [٦٥].

(٣) سورة الأعراف، الآية [١٧].

(٤) سورة العنكبوت، الآية [٦٣].

ٱللَّهِ﴾[١]، بل قال الله جلَّ وعلا لصحابة نبيِّه رضوان الله عليهم: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾[٢] أيْ: لَـحِقَتْكُم المشقَّة والعَنَتُ، وليس مِن العَدْل في شيء الاعتمادُ على مُجرَّد أَكْثَرِيَّةِ الآراء والأقوال ممن لا مَدْخَل له ولا اختصاص، بل قد يَحْصُل من التكاثُف من أهل الباطل ما يجعلهم يُمَوِّهُونَ بأنهم الأكثَرِيَّة، وعندما نرجع إلى الأحكامَ الشرعيَّة نجد أنها تَأمُر بالرجوع إلى أهل الاختصاص في كل باب، ومِن ثَمَّ لو حَدَثَتْ حالةٌ طِبِّية لمريض تحتاج إلى تقرير المختصين حول طريقة علاج ذلك المريض، لم يُسأل جميع مَن في المستشفى من المرضى والفنِّيين والإداريِّين، وإنما يُرجَع في ذلك إلى الأطباء الذين يَختصُّون في نَوْع ذلك المرض، وهكذا هي الشريعة تَأْمُرُ بالرجوع إلى أهل الاختصاص، أما دخولُ المجانين في التصويت ودخولُ مَن قد يُمَوَّه عليهم بالكلام

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١١٦].

(٢) سورة الحجرات، الآية [٧].

ويغترون بالدعايات الكاذبة ودخول المُغْرِضين ممن لهم أغراض، ودخول أهل العَصَبِيَّات الذين يُصوِّتون بناءً على عَصَبِيَّاتهم؛ هذا ليس من العقل في شيء.

٩) كذلك من الحُجَج والمقالات التي يَرُدُّون بها الحقَّ أن قالوا بأن العلم قد أحاط بكل شيء، وعَرَفَ الناسُ بواسطة هذا العلم حقائقَ جميع الأشياء، فحينئذٍ نحتاج إلى مراجعة العلم فقط دون غيره.

وهذه المقالات فيها تَمْوِيهٌ:

أولًا: أن العلم العظيم النفع الذي لا مضرَّة فيه هو عِلْم الآخرة الباقية بلا فناء، وهو من علوم الشريعة.

وثانيًا: أن هذه المقالة مقالةٌ وهي أن العلم أحاط بكل شيء غير صحيحة، كم عند الناس من الجهالات؟ وكم تفوتهم من معلومات فيما يتعلَّق بخلق الله عز وجل وما يتعلق بالمخلوقات؟ بل تزداد معرفةُ الناس بجَهْلِهم كلما ازداد عِلْمُهم، كلما عرفوا معلومة جديدة عَرَفوا أنهم قد فَاتَهم من العلم الشيء الكثير.

١٠) ومن دَعاوَى أهل الإلحاد أنهم يقولون: نحن نبحث عن الصلاح والإصلاح، ولا بد أن نصلح الناسَ، ومثل هذه المقالة، ثم يَتَّهمون شرعَ الله ودِينَه بأنه لا يُحقِّق المصلحة والإصلاح، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1]، فطريقتهم في إِبْعَادِ الناس عن الله عزَّ وجل والإيمان به هذا هو غاية الفساد، وليس من الإصلاح في شيء.

١١) ومن دعاواهم أنهم يقولون: يجب أن نَسِير على العقل ومقتضى العقل، وأن نترك مقالة من يُخالِف العقل، ونحو هذا من هذه المقالات، وإذا قيل لهم: فَسِّروا العقل؛ اضطربت مقالتهم، ما هو العقل؟ وليس من العدل أن تجعل آراءك هي العقل، وتجعل آراء غيرك مخالفةً للعقل.

كلٌّ يَدَّعِي وَصْلاً بلَيْلَى ...

وكلمة: (العقل) إذا نَظَرَها الإنسان وَجَدَ أنها تُستخدَم في عدد من المعاني:

---

(١) سورة البقرة، الآيتان [١١-١٢].

منها: استخدام لفظة العقل في الآلة التي يَتِمُّ بها الفهم والإدراك، وقد يسمونها (العقل الغَرِيزي)، وهذه موجودة حتى عند البهائم، لكنها متفاوتة، فعند الناس من آلة الإدراك ما هو أعلى درجة مما عند البهائم، وهذا لا يمكن أن يُرَدَّ به شيء من المعلومات؛ لأنه مُجَرَّد آلة للإدراك والتمييز.

وقد يُرَادُ بالعقل مجموعة الخِبْرات التي يستفيدها الإنسان من حياته، وهذه الخِبْراتُ قد تكون صحيحة، وقد تكون مما تَمَوَّهَ على الإنسان.

ويُطلَق العقل ويُرَادُ به إدراك عواقب الأمور؛ حيث يقال: فلان عاقل، أي يتمكّن من معرفة مآلات الأحوال. ولا شك أن أفضل العقل يكون في معرفة أن الناس يؤولون إلى جنة أو إلى نار، هذا أعلى درجات العقل بهذا المعنى الثالث.

وقد يُطلَق العقل ويُرَادُ به عملُ الإنسان بما يُبعِدُه عن السوء والشر.

ثم يقال لمن احتجَّ بالعقل: إن الناس متفاوتون في العقل؛ فتريد عقل مَن؟ عقل زيد أو عقل عمرو أو عقل

خالد؟ لماذا قدَّمتَ ما تَنْسِبُه إلى نفسك من العقل وتركتَ ما يَنْسِبُه غيرُك إلى العقل؟

ثم إنكم يا أيها المحتجُّون بالعقل متناقضون فيما تدعون أنه العقل، في الصبح تدَّعي أن العقل يقتضي شيئا، وفي المساء تدَّعِي أن العقل يقتضي نَقِيضَه، فإذا كان الأمر كذلك فلا يصح لكم أن تردُّوا المقالات الشرعية بما تضطربون فيه، وتتناقضون وتتفاوتون وتختلفون.

١٢) أشار المؤلف إلى حُجَّة أخرى، وهو أن بعضهم يقول: بأننا لابد أن نَعمل بالثقافة ونَسِير على مقتضى الثقافة؛ ولذلك تجدونهم في أزمنتنا هذه يُعظِّمون مصطلح (المُثقَّف)، ويأمرون الناس بالرجوع إلى (المُثَقَّفِين)، وكلمة (الثقافة) كلمة مَطَّاطة كلٌّ يَستعملها فيما يريد، والمصطلح الذي لم يثبت معناه لا يجوز أن نجعله مِعْيارًا على غيره في القبول والرد.

١٢) تجد بعض الملحدين يَتَّهِمُونَ أهلَ الحقِّ وأهلَ الإسلام بالعَجْز والكَسَل وعدم مُبَاشَرة الأمور والأسباب، ويقولون: إن أهل الإسلام يَأمرون بعدمِ مُبَاشَرَة الأسباب اعتمادًا على الصبر؛ بدَعْوَى أن الله هـو المتصرِّف في الكَوْن،

وبالتالي لا يُزاولون السببَ. وهذه فِرْيَة على أهل المعتقد الصحيح، إذا وُجِدَ بعضُ المتصوفة يقولون بهذه المقالة وهم مخطئون فيها، فإنه لا يصح أن نَنسِبها إلى أهل الإسلام قَاطِبَةً، بل أهل الإسلام يأمرون بمُزاوَلة الأسباب، وعندهم نصوصٌ كثيرة؛ كقول النبي ﷺ: **(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ)**[1]، وكقوله سبحانه: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾[2]، هذا أمر بمزاولة الأسباب. وقال تعالى: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾[3]، هذا أمر بمزاولة الأسباب، ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ** ﴾[4]، هذا أمر بمزاولة الأسباب. فلا يصح أن نجعل الاعتقادَ الفاسدَ عند بعض أهل العقائد الضالّة سببًا للقَدْحِ في مُعتَقد أهل الحق.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤).

(٢) سورة الأنفال، الآية [٦٠].

(٣) سورة الجمعة، الآية [١٠].

(٤) سورة الملك، الآية [١٥].

١٤) يقول بعضهم: بأننا نريد التطوُّر، نريد أن نُطَوِّر أنفسَنا وغيرَنا، وقد يَتَّهمون هذا الدين بأنه مُضادٌّ للتطوُّر.

والتطوُّر الحقُّ في التمسُّك بهذا الدِّين؛ لأن هذا الدين يُنَظِّم حياةَ الإنسان ويجعلُها على أكمل الوجوه، ويَجعل استعمالَ الأشياء الجديدة وَفْقَ ضوابط تُزِيل الشرَّ والضررَ عن الناس عند استخدام ما هو جديد، ولذلك لو استَخدمَ الناس الضوابطَ الشرعية لاستقرَّت أحوالُهم، وتَمَكَّنُوا من الاستفادة من الأشياء الجديدة، وإذا نَظَرَ الإنسان إلى ما جَلَبَته الأسلحة الجديدة من الفوضى والدمار مثلا في حالات الاستعمار والاحتلال ونحو ذلك، ونَظَرَ إلى ما وَقَعَ بها من المجازِر البشرية؛ لأن ما عند الناس من أسلحة جديدة لم يُرَاعَ فيها الضوابط الشرعية – ولو نظر كذلك لَعَلِمَ أن هذا ليس بتطوُّر، بل هو انحطاط، فكوننا وجدنا آلاتٍ جديدة استُعملتْ في شَرٍّ ليس هذا دليلًا على صِحَّة هذه الأمور الجديدة، ولا صواب ما لدى مخترعيها.

ثم لا تناقُض ولا تضادَّ بين هذه الأمور وبين ما جاءت به الشريعة.

١٥) يقول بعضهم: إن الشرع والدين يحثُّ على الفقْر، وقد يأتي بعضهم بنصوص تدلُّ على فضيلة الفقراء، وأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء ونحو ذلك، ويقول بأن الشريعة تَنْهَى عن التكسُّب.

وهذا القول معلومٌ بطلانُه من النصوص السابقة التي أوردناها، فالشريعة ترفع درجةَ الغني الشاكر الذي بَذَلَ مالَه في الخير وسَاهَمَ في مساعدة الآخرين، بل سَمَّتْ المال الذي يُنتفَع به خيرًا في مواطن كثيرة؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، يعني أن مَن أَتَى الله بقلب سليم فإنه يكون قد انتفع بماله وولده يوم القيامة. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[2] يعني أن مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحًا فإن مَالَه يُقرِّبُه عند الله زُلْفَى؛ لأنه استعمل ذلك المال في طاعة الله جلَّ وعلا.

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان [٨٨-٨٩].

(٢) سورة سبأ، الآية [٣٧].

١٦) قد يقول بعضهم لتزهيد الناس في هذا الدين والتمسُّك به: بأن هذا الدين يُرَغِّب في تَرْك العلاج وعدم بَذْل الأسباب للتداوي. وهذه مقالة باطلة، صحيح أن الشريعة قد رتَّبَتْ أجورًا عظيمة على المرض، وبَيَّنَتْ أنه من مُكَفِّرات الذنوب، ورَغَّبتْ في الصبر، لكنها في نفس الوقت حَثَّتْ على العلاج والتداوي؛ فإن النبي ﷺ قد تَدَاوَى واستعمل العلاجَ ودَاوَى غيرَه، وقال ﷺ: **(عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّهُ مَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَلَهُ دَوَاء)**[1].

١٧) من المقالات التي يقولونها تزهيدًا في هذا الدين: أن هذا الدين يُناقِض الحُرِّيَّة، بل قد يقول قائلهم بأن الإيمان حَبْسٌ وقَيْدٌ. وهذه مقالة فاسدة؛ لأن الحرية المُطلَقة غير المنضَبِطة بالقيود الصحيحة ضررٌ، وكَوْنُ الإنسان يُحقِّق كل ما يريد معناه أنه سيعتدي على الآخرين وسيظلمهم، وهذا ضَرَرٌ مَحْضٌ، فالحرية مكفولة لكنها مُقَيَّدة بقيودٍ؛ لأن حُرِّيَّات

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٥٤)، وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، عن أسامة بن شريك رضي الله عنه. وصححه الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة (٤٥١).

الناس متضارِبة، لا يمكن أن يُترَك كل إنسان وما تختاره نفسه؛ فإن هذا يتضادُّ مع اختيار الآخرين، الحرية المطلقة ظُلْمٌ.

وقد يريدون بهذه الدعوى الإِبَاحِيَّةَ، فيقولون: إن الشرع والدين والإسلام يتضادُّ مع ما ترغبه النفوس بما تَجد به اللذَّة، فيُقال: إن تقديم المصالح أَوْلَى من تقديم الرَّغَبات، وكم من إنسان يَسعى إلى الإضرار بنفسه ويَرْغَب في ذلك، فتقديم مصلحته أَوْلَى من مراعاة تقديم تحقيق رَغْبَتِه.

١٨) وهكذا أيضًا فيما يتعلَّق بالمرأة؛ يقولون: هذا الدين قَيَّدَ المرأةَ، ويريدون بهذا جَعْلَ النساء يُزاوِلن السُّفورَ والتبرُّج. السفور والتبرُّج والاختلاط أَلْحَقَ بتلك المجتمعاتِ الأضرارَ الكثيرة؛ أَفْسَدَ المرأةَ على زوجها، وأَفْسَدَ الزوجَ على زوجته، طَالَعَ الأخرياتِ في وقتِ حُسنهن وجمالهن وزَهِدَ في امرأته؛ ولذلك نجد عندهم من الغَيْرَة بسبب مثل هذه التصرُّفات، ونَجِدُ عندهم من حوادث الإجرام بالاختطاف وغيره الشيء الكثير بسبب هذه المزاولات.

بعضُ الناس مِن هؤلاء الملاحدة يُزَهِّدُ في دين الله بدَعوَى أن هذا الدين يَجعل الناسَ يُبغضون الحياة، ولا يُقدِّرون الحياة

قَدْرَها. وهذه مقالة باطلة؛ لأن أهلَ الإيمان يَجعلون الدنيا مَزْرَعةً للآخرة، وبذلك يعرفون القِيمَة الحقيقية لهذه الحياة، فتَصْلُح حياتُهم، ويُصلِحون حياةَ غيرِهم بمثل هذا الاعتقاد الصحيح.

* * * * *

ثامناً: من وسائل الملحدين

نجد عند بعض هؤلاء الملاحدة من المقالات الشنيعة؛ يَصِفُون المسلمين بأنهم ضعفاء العقول وبالسفهاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وانظر إلى مقالة الأقوام قَاطِبَة لأنبيائهم؛ عندما وَصَفُوهم بالجنون، عندما وَصَفُوا أتباعهم بضعفاء العقول؛ ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾[2]، وهم يأخذ بعضُهم من بعض؛ ولذلك عندهم وسائل عديدة يَستخدمونها في دعوتهم الباطلة الفاسدة إلى الإلحاد، ولعلَّنا نَعرِضُ لعدد من هذه الوسائل:

١) **فمن ذلك:** زَخْرَفَةُ القول وبَهْرَجَةُ الكلام، واللَّعِبُ على الناس بالمَنْطِق الكاذب المُزَوَّق والمُزَوَّر؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٣].

(٢) سورة هود، الآية [٢٧].

بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾[١].

٢) وقد يَستعملون في تَرْوِيجِ باطِلِهم وإلْحادِهم شِرَاءَ الذِّمَم، فكَمْ من إنسان شَرَوْا ذِمَّتَه بِجَعْلِهِ يَطمع في مالٍ أو في مَنصِبٍ أو في مكانة اجتماعية، وعندهم من الأساليب في ذلك الشيء الكثير؛ ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[٢]، فتَجِدُهم يبحثون عن المُؤَثِّرين ويَشترون ذِمَمَهم ليكتبوا عنهم المقالات؛ لِيَحْرِفُوا الناسَ عن الحق بمقالة الباطل، بل قد يَصِلُ الأمرُ إلى أن يُفعَل مثلُ ذلك بمَن يَنتسِب إلى العلم الشرعي؛ من أجل أن يُرَوِّج على الناس الباطل باسم الحق، فهؤلاء مِثْلُ مَن ذَكَرَ الله عز وجل بقوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾[٣].

٣) كذلك من الوسائل التي يَستخدمونها: أنهم يجعلون تنظيمات، ويكون هناك مَكْرٌ وتَبْييتٌ لمقالات فاسدة من أجل

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١١٢].

(٢) سورة البقرة، الآية [٨٦].

(٣) الأعراف، الآية [١٧٥].

كَبْتِ أهلِ الحق، وقد ذَكَرَ الله عزَّ وجل شيئًا مِن مثل هذه التصرُّفات التي وَقَعَتْ مع النبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[2]، ومِن ثَمَّ إذا تَمسَّك المسلمون بدينهم فإن مَكْرَ هؤلاء الملاحدة يَعود عليهم، وهم الذين يتضرَّرون به، ومِثْلُ هذا المَكْرِ تَرْعاه منظَّمات سِرِّيَّة، بل ترعاه دول ومنظَّمات عالمية ودولية وإقليمية، ويقيمون له المؤتمرات، ويَضعون فيه الاتفاقيَّات.

٤) ومِن وسائلهم في تَرْوِيج هذه المقالات الإلحادية: الاستيلاءُ العسكري على الدول.

٥) كذلك مِن الوسائلِ التي يستعملونها في نَشْرِ هذه المقالات الإلحادِيَّة: خَلْطُ الحَقِّ بالباطل؛ فإن الباطل متى كان وَحْدَه مَجَّتْه النفوس، ولكن إذا وُضِع معه بعض الحق رَاجَ

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٣٠].

(٢) سورة النساء، الآية [٨١].

على الناس ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(١) ، فكَتْمُ الحَقِّ أيضًا هذا من الوسائل التي يَنْتَهِجُونها في نَشْرِ بَاطِلِهم وإلحادهم.

٦) ويَستخدمون لذلك أيضًا من الوسائل بعضَ الوسائل الجديدة ؛ فقد يَضَعُون الكتب والمؤلَّفات ، ويَضعون الروايات وكتب الأدب والنَقْد ، ويَستخدمون المدارس في نَشْر هذه المقالات الإلحادية ، ولذلك على أهل الحق أن يتقرَّبوا إلى الله عز وجل باستعمال الوسائل التي لا مؤاخذة شرعية فيها ؛ لنَشْرِ الحق ؛ لئلا يُلَبِّسُوا على الناس أن الرَّادَّ لمقالاتهم الباطلة يَرُدُّ الأدبَ ويَرُدُّ ما يَحتاج إليه الناس مِن وسائل التعلُّم.

٧) كذلك قد يَستعملون وسائلَ الإعلام لنَشْرِ باطِلِهم وإلحادِهِم ؛ مرةً في شَكْل مُقابلات ، ومرةً في شَكْل مُناظرات ، ومرة في شَكْل تمثيليات يُرَوِّجون الباطل على الناس من حيث لا يَشعرون.

---

(١) سورة آل عمران، الآية [٧١].

٨) ويقدحون في دعاة الحق لتنفير الناس من دعوتهم إلى الحق، والناظر في طريقتهم وأُسلوبهم يَجِدُ أن لديهم من الحَنَقِ الشديد على أهل العلم والخير والصلاح، وعندهم من السُّخرية والاستهزاء الشيءَ الكثير، والسخريةُ والاستهزاء مَقالة العاجز، عَجِزَ أن يَرُدَّ الحُجَّةَ بالحُجَّة فسَلَكَ طريقَ الاستهزاء؛ ولذا قال النبي ﷺ: **(لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ)**[1].

٩) كذلك عند أصحاب هذه المقالات مِن تَمَلُّقِ الناس والنِّفاق الشيء الكثير، ولذلك تَجِدون من أساليبهم التَّدَرُّج في إظهار ما لديهم، فيُدَرِّجُونَ الإنسان مرحلةً مرحلةً، ولا يُظهِرون ما لديهم مرة واحدة، فإنهم لو أظهروا ما لديهم من المقالات الشنيعة مرة واحدة لَمَجَّهُم الخَلْقُ؛ إذ إن تَصَوُّر قول هؤلاء الملاحدة يَكفي في رَدِّه.

١٠) وعند أصحاب هذه المناهج من التعَصُّب - لآرائهم الشيء الكثير وإلغاء رَأْيِ غيرهم - مهما كان ؛ ولذلك مَن

---

(١) تقدم تخريجه.

خَالَفَهم - ولو في جزء يسير وهو على طريقتهم- شَنَّعوا به، ومِن هنا فهُم يَخاف بعضُهم من بعض أن يُخالِف أحدُهم مقالةَ أكثريَّتِهم، ولو كان يَرَى أن طريقتهم في تلك المسألة طريقة خاطئة؛ لأنه لو أظهر المخالفة ولو في مسألة واحدة لتَنَكَّروا عليه واستهزءوا به وشَنَّعوا على مقالته.

١١) **ومن صفاتهم:** أن كل واحد منهم يُعجَب بنفسه، وفي الوقت نفسه يَحتقِر غيرَه، فلا يَرَى لغيره فضلا، ويَرَى أنه هو المتفوِّق والقدير.

١٢) **ونَجِدُ مِن أساليب هؤلاء الملاحدة:** القَدْحَ في رُواة أخبار الخير، وتعظيم رُوَاة الشَّرِّ.

١٣) **وكذلك من وسائلهم:** اتِّهامُ الآخرين في نِيَّاتهم، والتشنيع على الآخرين بأنهم يَتَّهمونهم في النِّيَّات الخَفِيَّة؛ فيقولون بأن أهل الحق يَحْكُمون على الآخرين بما في نِيَّاتهم الباطنة، وهذا كَذِب، وفي المقابل نَجِد أن أصحاب هذه الطرائق يَتَّهمون مَن يُخالفهم في نِيَّاتهم؛ فيقولون عن مخالفتهم: يَقصِد كذا ونِيَّتُه كذا.

١٤) ثم هم يدَّعون الرغبة في تحقيق مصالح أهل الإسلام، لكنهم يُصَرِّحون بأنهم يريدون أن يخضع المسلمون لعَدُوِّهم، وأن يكونوا إِمَّعَاتٍ للعدو؛ يَتصرَّف فيهم العدو بما شاء، هكذا يريدون، والعدوُّ لا يَرضَى من هؤلاء إلا أن يَستعملهم خَدَمًا، وأن يَستعملهم في أدنى المِهَن، وأن يَجعلهم تُكْيَةً يَتَّكِأُ عليها لتحقيق مقاصده، وعند أصحاب هذا المنهج من الكَذِب والظلم والاعتداء ومُخَادَعة أصحاب الولايات ومُخَادَعة الملوك، وعندهم من التشبُّه بالعدو والسير على طريقته وخيانة الأُمَّة في قضاياها المهمة، وتوجيه الأمة إلى القضايا الهامِشِيَّة، وجَعْلِهم يعبثون في حياتهم الشيء الكثير.

١٥) والناظِر في طريقة هؤلاء يَجد أنه يَترتَّب على تعميم طريقتهم في الأمة آثار فاسدة كثيرة؛ مِن تفاقُم المشاكل، ووجود الاختلاف والتنازُع في الأمة، بل إنهم يُحَرِّضون أفرادَ الناس بعضَهم على بعض، انطلاقًا مما يُقَرِّرونه من سياسة: **فَرِّقْ تَسُدْ**، بينما القاعدة الشرعية عند أهل الإيمان أن السِّيَادة تكون بالاجتماع والتآلُف.

١٦) وقد كان لأصحاب هذه المناهج والمَوْجات الإلحادية تَسَلُّط على الولاية في عدد من الدول، وأخذوا ذلك سنوات طويلة، فَجَرُّوا للناس الوَيْلات، وعجزوا عن معالجة المشكلات، بل حَدَثَ من سياساتهم إفسادُ الدنيا والآخرة؛ من الفَقْر والحاجة والبطالة، والفَوْضَوِيَّة، والإِباحِيَّة، بل حَصَلَ من انتشار الفساد المالي والإداري في كثير من هذه الدول بسبب هذه المَوْجات؛ لأنها أَضْعَفَتْ الإيمانَ بالله في القلوب، وجعلتْ الناس لا يَستشعِرون مراقبة رب العزة والجلال ولا يخافونه.

وأصبحوا يَتهكّمون بمَن يقول بأن الإنسان معه ملائكة يُسَجِّلون أعماله، ومِن ثَمَّ أقدَم الناس على شيء من الذنوب والمعاصي والجرائم بسبب انتشار هذه المقالات الإلحادية، وتَرَتَّب على ذلك أن الناس وُجِدَ عندهم بُخْلٌ وشُحٌّ في المال لضَعْفِ يَقينِهم بالله وانصرافهم عن أمر الآخرة.

١٧) ونَجِدُ عند أصحاب هذه المَوْجات استغلالا للآخرين في تحقيق شهواتهم؛ فيَستدرِجون النساء، ويَسْعَوْن إلى التواصُل مع مَن يكون محقِّقًا لرغباتهم، ولذلك لَمّا انتشرت

هذه المقالات الإلحادية في العديد من الدول حَصَلَتْ الأزَمَات النفسية والأمراض؛ وذلك لابتعاد الخَلْق عن الله عز وجل وضَعْف يقينهم؛ فأصبحوا يُزَهِّدون في خُلُق الصبر، ويَتَّهمون مَن شَجَّعَ الناسَ على الصبر بأنه يُضِلُّ الخَلْق.

١٨) وهكذا أيضًا حَاوَلوا أن يَطعنوا في أهل الحق عندما رَغَّبوا الناسَ في التوبة والرجوع إلى الله جلَّ وعلا، بل نَتَجَ من طرائقهم أن الناس أصبحوا مُعتادِين على المَكْرِ والخديعة والتآمُر، ونَتَجَ عن ذلك من التفرُّق والاختلاف والاقتتال الشيء الكثير.

* * *

قال الشيخ رحمه الله:

فَصْلٌ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا

---

(١) سورة غافر، الآية [٥٦].

لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[(١)]، أَخْبَرَ تعالى في هذه الآيات وغيرها أن المُكذِّبين بالرسل والجاحِدين لآيات الله إنما حَمَلَهم على ذلك الكِبْرُ الذي هو في صدورهم، واحتقارُهم واستهزاؤُهم بما جاءتهم به الرسل وفَرَحُهم بعُلومهم المنافية لعُلوم الرسل؛ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[(٢)].

وهذا الذي ذَكَرَه الله هو أَفْظَعُ وأشْنَعُ آثار الكِبْر الذي هو شَرُّ الأخلاق، الذي مَن في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ منه لا يَدخل الجنة، وهكذا خَلَفُ هؤلاء السَّلَفِ الطَّالِح، فإنهم قد اتَّفقتْ كلمةُ سفهائهم ومعانِديهم أنهم لا يُؤمنون، ولا يَنقادون إلا لَمَن دَخَل تحت حَوَاسِّهم وتَجارِبهم، ونظرياتهم، وما سوى ذلك أنكروه وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية [٢٦].

(٢) سورة غافر، الآية [٨٣].

(٣) سورة الأنعام، الآية [١٢٤].

وقد عُلِمَ عقلا وشرعًا وفِطْرةً أن العلوم والحقائق التي لا تدخل تحت الحَوَاسِّ، وتُدْرَكُ بالعلوم التي جاءت بها الرسل، وبالعقول والفِطَر السليمة قد عُلِم أنها أكمل العلوم وأقواها وأنفعُها، فهُم جَحَدوها رأسًا إلا ما أحاطتْ به معارفُهم الضئيلة مما يدخل تحت الحَوَاسِّ، فلو فُرِض الفَرْضُ المُحَالُ أن جميع العلوم المُدْرَكة بالحَوَاسِّ قد أحاطوا بها لكانت ضئيلة جدًّا بالنسبة إلى علوم الرسل ومُدْرَكات العقول، فكيف وما أدركوه من علوم الطبيعة والكَوْن قليل بالنسبة إلى ما لم يَعرفوه وهم مُعترِفون بذلك، ولا يَزَالون يُحدِثون نظريَّات وتجارِب يَحكمون عليها ثم بعد ذلك يتبيَّن لهم أخطاؤها، ويَستأنِفون غيرها، وهكذا فإذا كان هذا قُصُورُهم وتَقصيرُهم في علوم المادة التي إنما تكبَّروا وافتخروا بعِلْمِها؛ فكيف بالعلوم العظيمة التي لم يَشُمُّوا رائحتَها؛ علوم الشرع وأصوله وفروعه، وعلوم الغَيْب وتفاصيل ما أخبر الله به وأخبرتْ به رسلُه؟! قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١).

---

(١) سورة فصلت، الآية [٥٣].

فقد أَرَى الله عبادَه في هذه الأوقات من مُختَرَعاتهم، ومما عَمِلَتْه أيديهم من الخَوَارق والآيات ما يزداد به المؤمن إيمانا، وتقوم به الحُجَّة على المعانِد المكابِر.

فهذه الكهرباء وما نَتجَ عنها من الأعمال العظيمة المعروفة، وهي مِن أعمال البشر الذي عَلَّم الله الإنسانَ ما لم يَعلم، فقبل أن يشاهدوها لو قيل لهم عن بعض أعمالها: إنها ستكون وتقع لبادَروا بالإنكار كما بَادَر أسلافُهم من المكذِّبين للنبي ﷺ حين حَدَّثهم بالإسراء والمعراج، مع أنها من آيات الرسل وخوارِقهم التي لا تَزَالُ يُشاهَد نظيرُها أو ما يُقارِبُها، فإذا كانوا يجحدون بما لم يحيطوا به علماً، وقد حَدَثَ من المُخترعات البشرية ما يُكذِّبهم، ويُبطِل الأصلَ الذي به يحتجُّون، مع أن هذه الخوارِق مِن صُنع الآدميين، والله هو الذي عَلَّمهم إياها، فكيف يُنكِرون ما أخبر الله به وأخبرتْ به الرسل من أمور الغَيْب؟ إذ لم تدخل تحت مَدَاركهم ومعلوماتهم، وعجزت عقولُهم عن إدراكها، وهذه الحالة هي دَأْبُ الأمم المكذِّبين للرسل؛ إذا أخبرتهم الرسل بما لا يَعرفونه أنكروه وجَحَدوه واستكبروا عنه؛ ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ

بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(١) ، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾(٢).

وهل أعظمُ شقاءً وضلالاً ممن يُنكِر قدرة الخَلَّاق العليم، وهو يُشاهِد من آياته في الآفاق والأنفُس أمورًا كثيرة تُبطِل حُجَّتَه، وتُزهِقُ باطِلَه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾(٣).

فطغيانُهم الشنيع وكِبْرُهم البليغ حَمَلَهم على هذا القول الفظيع، فهُم أحَقُّ بالجنون، إذ زَعَمُوا أن هذه الموجودات العظيمة التي هي في غاية الإتقان والانتظام في خَلْقها وتَصريفها وتدبيرها وغايتها الحميدة وحِكَمِها البديعة زَعَمُوا أنها وليدة

---

(١) سورة يونس، الآية [٣٩].

(٢) سورة سبأ، الآيتان [٧-٨].

(٣) سورة الذاريات، الآيتان [٥٢-٥٣].

المُصادَفة وآثار الطبيعة، من غير خالقٍ خَلَقَها، ولا مُبدِع أَبْدَعَها وأتقنها، مُجَرَّد ما يَنظر العاقِل ويَتصوَّر قولَهم هذا يَعلم أنهم قد ابتُلوا ببليَّة هي أعظم البلايا، وكيف سَوَّلتْ لهم نفوسُهم أن يَتفوَّهوا بهذا القول الذي هو أكبر مُعَبِّر عن ضلالهم وجَهْلهم وحَمَاقتهم، بل هو من أقوال المجانين الذين يَهْذُون بما لا يَدرون، فمَن تأمَّل بعضَ المخلوقات وما أوْدَعَها الله من الخَلْق العجيب، والنظام المُحكَم والتدابير العجيبة جَزَمَ جَزْمًا لا يَمتَري فيه بكَذِبِ هؤلاء وافترائهم في جَحْدِهم، ومُكابرتهم للمحسوسات، فضلا عن المعقول وما جاءت به الرسل؛ قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١). وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن

---

(١) سورة إبراهيم، الآية [١٠].

(٢) سورة الطور، الآيتان [٣٥-٣٦].

﴿يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾[(١)] ؛ أي : مِن الكِبْرِ الذي في صدورهم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[(٢)].

والله أعلم.

يُلاحَظ بالنسبة لهؤلاء الملاحدة أنهم لا يُظهِرون عقائدَهم كلَّها عند عامَّة الناس ؛ لأنهم لو أظهروها لَمجَّهُم الخَلْق ؛ لأن مُجَرَّد تصوُّر هذه العقائد الباطلة يَكفي في رَدِّها، ولكن لما انْطَمَسَتْ فِطْرَة هؤلاء، وتَمكَّنت الشياطين منهم لم يَعرفوا سوءَ المقالات التي يَقولون بها، ولهذا لهم تَمْوِيهَات على الناس كثيرة.

من أمثلة هذه التَمْوِيهَات : أنك تَجِد الواحدَ منهم يَنتسِب إلى دين الله ويَنتسِب إلى دين الإسلام وهو مُلحِد، لكنه يُظهِر للناس ما لا يُبطنه، وهكذا نَجِد أن بعضهم يَتخفَّى بإلحاده بالتسَمِّي ببعض المُسَمَّيات الحديثة ؛ من ديمقراطية، أو اشتراكية،

---

(١) سورة الإسراء، الآيات [٤٩ – ٥١].

(٢)سورة الإسراء، الآية [٥١].

أو ليبرالية، أو علمانية، أو نحو ذلك، من أجل أن لا يُشَنَّع عليه في مقالاته الإلحادية، لو قال القائل منهم بما يَعتقد حَول الدار الآخرة لَمَجَّهُ الناس، فإنهم يقولون بمثل مقالة الأولين: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1]، ولكنهم يُخْفُون مثلَ هذه المقالات عن الناس، ومَن تَوَاصَلَ معهم لا يُعطونه عقائدَهم التي يَعتقدونها مباشرة، وإنما يُدَرِّجونه يسيرًا يسيرًا؛ لأنه لو سَمِع بمقالتهم مرة واحدة لزَهِدَ فيهم ولنَفرَ منهم.

* * * * *

(١) سورة الجاثية، الآية [٢٤].

تاسعاً: توصيات للمساهمة في العلاج

يَبقى عندنا مسألة مهمة، وهي واجبنا تجاه هؤلاء المُلحِدين، هؤلاء الملحدون مقالتهم شنيعة، ولن يَسْعَدُوا في دنيا ولا آخرة، فهم أصحاب الأمراض النفسية، وهم أهل الطَّمَع، وهم الذين يُلحِقون الضررَ الشنيع بأوطانهم وبقَرَابَتِهم وبأنفسهم؛ لأنهم يقولون هذه المقالات الشنيعة التي يُفَضِّلون بها أنفسهم على أنبياء الله، ويُفَضِّلون الفلاسفة على الأنبياء والرسل، قد اخْتَلَطَ عليهم الحق بالباطل، تَجِدُ أن القائل منهم يقول بأن الرسل أسباب السوء والشر، وغيرها من المقالات السيئة، ومِن ثَمَّ فهناك واجِبٌ على الأمة تجاه هذه المقالات الإلحادية التي لا زالت تتجدَّد وستُوجَد في الأمة إلى قيام الساعة، لن تَنقطِع، وسيكون هناك مَكْر وتَحَايُل وتآمُر من منظَّمات ودُوَل؛ من أجل نَشْرِ هذه المقالات الإلحادية، ومن ثَمَّ فهناك واجب على الأمة؛ العلماء يَجب عليهم البيان والتوضيح وتعريف الناس بدين الإسلام، والجواب عن الشبهات التي يُلقيها هؤلاء الملاحدة في النفوس، وعدم الانخداع بمقالات هؤلاء الملحدين.

وكذلك على أصحاب الوِلاية واجبٌ، وأقل هذا الواجب تمكينُ علماء الشريعة مِن توضيح الحق وبيان شرع الله ودينه، ونشر العلم الشرعي الصحيح المُؤَصَّل من الكتاب والسنة، وعدم السماح بالتكلُّم في الشريعة والاستهزاء بها والاستهزاء بحَمَلَة دِين الله والسُّخرية بهم بأنواع السخرية.

وكذلك على عامَّة الأمة أن يتقرَّبوا لله عز وجل بفَضْحِ هذه المقالات الإلحادية وفَضْحِ أصحابها وبَيَان حقيقتهم، وأكبر طريقة: توضيحُ طرائق أصحاب هذه المناهج لأصحاب الوِلايَاتِ والمسئولين، وبَيَان أنهم ضَرَرٌ على أنفسهم، وضَرَرٌ على المؤمنين، وضَرَرٌ على أوطانهم، وبَيَان تآمُرهم مع أعدائنا علينا.

ومِن أعظم ما يجعل الناس يَقِفُون ضِدَّ هذه المَوْجَات الإلحادية: إصلاحُ القلوب، بِرَبْطِ قلوبِ العباد بالله عز وجل؛ بحيث يَرْجُون الله ويَخافون الله ويُراقبون الله ويَتوكلون على الله، يتركون المقالات المُنكَرة والأفعال السيئة لله، لا خوفًا من عَيْبٍ، ولا خوفًا من القَدْحِ من الآخرين، متى عَلَّقْنا القلوبَ بالله عز وجل أَخْمَدْنا مَوْجَاتِ الإلحاد، متى جَعَلْنا الناسَ

يَستشعرون العقوباتِ الإلهية على المُعْرِضين عن دينه وشرعه في الدنيا والآخرة بضَرْب الأمثلة بالأمم التي ذُكِرت في القرآن أو بالأمم المعاصِرة التي أنزل الله بها من العقوبات الشيء الكثير لَمَّا أعرضتْ عن دين الله وعن شرعه؛ فإن هذا يُؤَثِّر في الناس؛ ولذلك فإنه تشتد حاجة الناس في أزماننا الحاضِرة إلى جَعْلِهم يُخلِصون لله وإلى جَعْلِهم يَستشعرون أنهم عمَّا قريب سيَنتقلون إلى الدار الآخرة ويُحاسَبون على أعمالهم، الحاجة إلى ذلك شديدة، بل هناك ضرورة مُلِحَّة تقتضي التذكير بمثل هذه المسائل.

ومِن أعظم ما يكون في هذا الباب: الحِرْصُ على حُسْن التعامل، خصوصًا أهل الخير وطلبة العلم يَنبغي بهم أن يَحرِصوا على حُسْن التعامُل مع الآخرين تقرباً لله، ليُعَرِّفوا الناسَ أن دِين الله يُؤَثِّر في النفوس، والنفسُ مع مَن أَحْسَنَ إليها.

وفي الأخير نُؤَكِّد على جانِب عظيم في هذا الباب، وهو جانِب التوبة إلى الله جل وعلا؛ فإن أصحاب هذه المقالات الإلحادية لا زال بابُ التوبة مفتوحًا أمامهم يَتَمَكَّنون فيه مِن العَوْدة إلى الله، والعودة إلى شريعة رَبِّ العِزة والجلال،

يَتَمَكَّنون من العَوْدة إلى دين الإسلام، وإذا أَخَذَ الواحد منهم شيئًا من المنافع الدنيوية فليَعْلَم بأن ذلك المال الذي أَخَذَه أو تلك المنفعة وَبَالٌ عليه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾[1]، وليس من العَقْل في شيء أن يُقدِّم الإنسانُ مصلحة دنيوية يسيرة في أزمنة قليلة، ويُفَوِّت أمر الآخرة ويُغْضِبُ ربَّ العزة والجلال على نفسه، ولو قُدِّر أن العبد حَصَلَ عليه شيء من النقص في ماله أو النقص في دنياه مع كونه قد كَسَبَ الآخرة وحَظِيَ برضا رب العزة والجلال فقد فاز، بل هذا أولى له مِن أن يأخُذ دُرَيْهِمَات تعود عليه بالوَبَال، وقد تَوَاتَرَتْ النصوص بالترغيب في التوبة وبيان فَضْلِها، وأن الله يتوب على من تاب مهما كان ذنبه، ولكن ليُعْلَم بأن من التوبة بالنسبة لأهل الإلحاد التوضيحُ والبيانُ، والتوضيح والبيان يكون بنوعيْن:

النوع الأول: ببيان خطأ طريقتهم الإلحادية، وكَشْفِ أن تلك الطرائق مُخَالِفة للعقول، مُخَالِفة لمصالح الخَلْق، وتوضيح

(١) سورة التوبة، الآية [٥٥].

الآثار السيِّئة المترتِّبة على تلك المناهج الإلحادية، وكَشْف تلك الأفكار بوضوحٍ للناس، وبَيَان أن التدرُّج الذي يَسيرُ عليه هؤلاء الملحدون إنما هو للتمويه، ويُبَيِّن أَشْنَعَ العقائد التي يَسيرُون عليها من أجل أن يَحْذَرَ الناسُ من هذه الطرائق.

والنوع الآخر: من البيان الذي يَلزم هؤلاء التائبين أن يُبَيِّنُوا لأصحاب الوِلاية مَنْ يَنتهِج هذه المناهج لِيُفْضَحُوا وتُعْرَف أحوالُهم، ويقوم العلماء بالتحذير منهم ومِن كتاباتهم ومقالاتهم، خصوصًا أولئك الذين يُمَوِّهون على الناس بالكلام الْمُنَمَّق الذي قد يَنخدِع به من لا يَعرف ما وراءه.

وكما ذكرت من قبل أنه قد يوجد في أزماننا مَن يَتكلَّم في المسائل الشرعية وقد يكون له تسجيلات باسم شَرْحِ هذا الدين وتوضيحه، ويُدخِل التشكيكَ والتمويهَ على الناس في عقائدهم، ومِن هنا فليس كل مُتحدِّث يُقبَل منه، ولو كان مما يُحْسِن الكلام ويُنَمِّق الألفاظ، ممن يَغْتَرُّ بهم عوامُّ الناس، فكَوْنه يَتمكَّن من الحديث الحَسَن، ويتمكَّن من تصفيف الكلام لا يَعني أنه عالم، ولا يَعنِي أنه يجوز الرجوع إليه ولا الأخذ من محاضراته وكلامه وخُطَبه، بل قد يكون من أعظم الناس

عَدَاءً لدين الله، وانظر إلى تاريخ الأُمَّة تَجِد نماذجَ كثيرة كان عندهم تَنْمِيقٌ في الكلام، لكن العلماء حَذَّروا منهم، وبَيَّنُوا ضلالَهم، وعَرَّفُوا الخَلْقَ بسوءِ أَثَرِ الاستجابةِ لهم.

والذي أُؤَكِّد عليه هنا أهمية الرجوع إلى المصادر المَوْثُوقة من علماء الشريعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾(١).

وأُذكِّر في الأخير بقَوْل الله جلَّ وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢)، وقبل بعثة الرسل كان الناس في ضلال وفي جاهليَّة؛ يَقتُل بعضُهم بعضا، ويَسبِي بعضُهم بعضا، فلما جاء الله بهذا الدين حَمَى الله المؤمنين مِن مِثل هذه التصرُّفات الشنيعة.

---

(١) سورة النساء، الآية [٨٣].

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٦٤].

أسأل الله جَلَّ وعلا أن يُوفِّقنا وإياكم لخَيْرَيِ الدنيا والآخرة، وأن يَجعلنا وإيَّاكم من الهُداة المهتدين، كما أسأله جلَّ وعلا أن يُصلح أحوالَ الأمة، وأن يُعيدَهم إلى دينه عَوْدًا حميدًا، وأن يَكفِيَهم شَرَّ الملاحدة والضالِّين.

* * * * *

فهرس الموضوعات

*****